مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

شعبان 1443هـ - مارس 2022م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من النصوص المُتعلقة بالعرب الملحمة البرتغالية «اللوسياد» Lusiad لشاعر البرتغال لويس دي كيمو Luís de Camões (1524-1580)، نشرها سنة 1572، ويعتبرها البرتغاليون ملحمتهم الوطنية، ويضعونها في مستوى ملحمة «الإنيادة» للشاعر الروماني فرجيل. تتمحور اللوسياد حول تمجيد التوسع الاستعماري البرتغالي من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر بقيادة فاسكو دي جاما الذي وصل إلى الهند. ترجم اللوسياد إلى اللغة الإنجليزية الشاعر الأسكتلندي ويليام جوليوس مايكل William Julius Mickle (1735-1788) ونشرها سنة 1776.

يقول في الجزء الثاني من هذه الملحمة (ص: ٦٣):

موجةُ البحرِ الأحمرِ ستُظلمُ في ظلّ
أشرعتكَ الواسعةِ وشموخ أبهتها الدائمة؛
ستبصر عيناك شاطئَ هرمز الذهبيَّ مرّتين،
وتحتله مرّتين،
بينما المُسلمون، غضَابًا مندهشين،
سيرون سهامَهم ترتد إلى الوراء،
تُمطر جحافلهم بيَد السماء.

ويقول في الجزء الخامس (ص: ٤٢٩):

لهيبٌ آخَرُ، فلتُبصرْ، من النار والقتال
حيث البوكيرك الأعظمُ أيقظ المخاطرَ المُفزِعة
وفوق أسوار هُرْمزَ صبّ نيرانه الراعدة
بينما السماءُ، دليلُ البطل، يَهْطلُ وابلُها الساخطُ
سهامًا على خصومه الفُرْس
مُمزّقةَ الصدورَ والسواعدَ التي أخَذَت القسيَّ
جبالُ ملح هرمزَ وجواهرُها العاطرةُ
لم تَفلحْ في صون جُثَث القتلى
وتلك الأكوامُ ستكسو البحارَ وضفافَها الجاحدةَ
في مسقطَ وقلهاتَ
حتى تقعَ هرمزُ الناكثةُ تحت النفوذ اللوزياني
وتدفعَ دُرَّها جزيةً لسلامتها.

ويقول في الجزء نفسه (ص: ٤٥٣):

انظرْ إلى جدّةَ، وحقلِ عدنَ الظامئِ
حيثُ لا تُمطرُ السماءُ أبدا؛
ولا يَخرُ نُهَيْرٌ صافٍ في الوادي
هنا تتَجلّى نهودُ جزيرة العرب،
هنا تتنفّسُ بَخورَها، هنا قفرٌ صخري؛
ومن فوقِ سهلٍ ظفَارَ يَضُوعُ أغلى لُبَانٍ في الدنيا،
حيثُ يُكلّلُ ضَبَابُه الأضْرِحَةَ المُقدّسة؛
هنا يَتهلّلُ جَوَادُ الحرْبِ الأبيُّ في قوّته، فهو أسرعُ منْ العاصفة.
هنا، مع زَوْجه وجاريته، ينتقلُ العربيُّ بخيمته هائما في السهول،
والتاجرُ يُفْزِعُه متى تحمل جمَالُه أثقالَها من الشّرقِ إلى أرضِ النيل.
هنا يمدُّ رأسُ الحَدّ وفرتك ذراعيهما،
ويُشيران إلى هُرْمزَ، حيثُ تَدُقُّ أجراسُ الحرب؛
هُرْمز، مَقْضيًا عليها بزلزالِ الفزَعِ منْ خطواتِ الأبطالِ اللوزيانيين العدائية،
سترى الأتراكَ يَحلمونَ بالذبح
وستنكمشُ منْ برقِ سيفِ (دي برانكو)
المُشْهَرِ في سماءِ الخليج يَغْسلُ الشاطئَ الفارسي.

hilalalhajri@hotmail.com

المجادلة بين هابرماس ولومان
جورم هارست

صناعة العواطف
لوي كيري

التاريخ السياسي لولاية كيرالا
آر. كيه. بيجو راج

محكمة التاريخ..
باولو ميلي

أسطورة الذكاء الاصطناعي
إريك .ج.لارسون

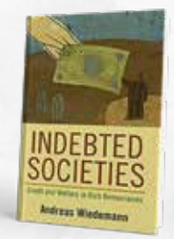

المجتمعات المَدينة
أندرياس فيدمان

الرأسمالية الوبائية
خايمي شوشوكا سيرانو

لماذا تخفق الشركات الناشئة؟
توم إيزنمان

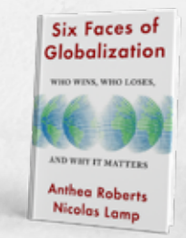

ستة وجوه للعولمة
أنثيا روبرتس
نيكولاس لامب

الإنسان هو ما يأكله... نظم التغذية العالمية
آنا بافلوفسكايا

اقتصاد المهمة: دليل الرحلة إلى القمر لتغيير الرأسمالية
ماريانا مازوكاتو

إصدارات عالمية جديدة

الصفحة الأخيرة

المجادلة بين هابرماس ولومان

جورم هارست

محمد الشيخ *

ثمَّة من المُفكرين من يسعى إلى «حفظ المسافة» مع الموضوع الذي يدرُسه؛ بحيث يكتفي هو بتأويل ملاحظاته عما يُعاينه المعاينة. وثمَّة منهم من يسعى إلى المُساهمة في تغيير الواقع الذي يُعاينه.

ولَئِنْ أنت كنتَ من الأوائل، فإنك وصفي التوجه «لوماني» الهوى، وإنْ كنت من الثواني، فأنت معياري المنحى «هابرماسي» المنزع. تلك هي الخلاصة التي يسعى صاحب كتاب «المجادلة بين هابرماس ولومان» إلى أن يجعلنا ننتهي إليها؛ وذلك بعد أن يأخذ هو بأيدينا، برفق شديد وأناة رقيقة، إلى رحلة شائقة من الجدال بين كبيريْ الفكر الاجتماعي والفلسفة الاجتماعية الألمانيين في نصف القرن الأخير. وهي رحلة، على عكس ما قد يُمال إلى الاعتقاد في ذلك، ما كانت بدايتها ونهايتها في السبعينات من القرن الماضي، بل تواصلت هي إلى حين وفاة أحد المتجادلين: لومان (١٩٩٨). ثم إنه، وعلى عكس ما قد يظن، ما كان سعي التجادل دوما إلى التخالف، بل انتهى إلى ضرب من التآلف. في مُقدمة الكتاب، يشير المؤلف إلى أنَّ مشروع كتابه هذا قد اختمر في ذهنه على فترات متراخية منذ السبعينات من القرن الماضي؛ ثم كان أن تجددت هي إلحاحيته عليه في الثمانينات، بعد أن حضر محاضرات لومان وهابرماس. وقد شهد على مناظراتهما الأولى الصريحة والضمنية. وتنقل، وهو الدانماركي الأصل، بين مدن أوروبا وأمريكا يرصد آثار المجادلة، ويعمق معرفته بنظرية لومان المسماة باسم «نظرية الأنساق» بإشارة من هابرماس نفسه. وقد عرض أفكار كتابه هذا وناقشها مع لومان وهابرماس نفسيهما. ويذكر أنَّه لطالما طرح السؤال على هابرماس: ترى لو قُيِّضَ لك أن تُعيد كتابة نظريتك البذرية . نظرية الفعل التواصلي . بعد أن أعاد لومان صياغة نظريته في الأنساق، أَوَ كنتَ أنت فاعلا؟ وكان هابرماس يجيب في كل مرة يطرح عليه هذا السؤال: «أجل، لكن بات على الباحثين الشباب اليوم أن يتولوا هذا الأمر بأنفسهم».

السياق التاريخي لمجادلة موصولة

شأن تعقُّد الفكر الاجتماعي الألماني كشأن تعقُّد تاريخ ألمانيا نفسه. وقراءة كتب هابرماس ولومان أشبه شيء بالتطرح في شوارع برلين؛ حيث سرعان ما ينبلج في ذهن السائر/ القارئ كل تاريخ ألمانيا المتشابك. ومثلما أن لألمانيا تاريخا متشابكا، فإن لها أيضا ميراثا فكريا ثخينا يبدأ مع كانط وهيجل اللذين باتا لا غنى عنهما في فهم هذا الفكر. وهذا «الإرث الثقيل» حاضر في كتابات الرجلين؛ على ما يوجد بينهما من تفاوت في تثميره. وكان الرجلان في سن الفتوة لما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وكلاهما خدم في الجيش النازي، وينحدر من أسرة قروية وسطى ولوثرية، وأتمَّ دراسته الجامعية بعد الحرب. وبينما اختار أحدهما (هابرماس) الاشتغال بالصحافة، اختار الثاني العمل في القضاء (لومان). وقد عاشا الخراب العمراني وعانيا الخواء الأخلاقي الذي خلفته النازية. وكانا يسعيان إلى حياة عادية وإلى مسار أكاديمي. وكانا طالبين مجتهدين، وشاهدين على التغييرات التي طرأت على بلدهما. ورأى الأول في المحنة النازية درسا معنويا في الأخلاق، وأفاد الثاني درسا تاريخيا في الزوال. وكان هابرماس يجهد ليناضل من أجل المُشاركة في الشأن العام، وكان لومان يكد من أجل ملاحظة هذا الشأن. واحد فضَّل طريق المتفرج المنخرط، والثاني اختار سبيل المتفرج المنفلت. جمعت بينهما مطالعة النظرية الاجتماعية والفلسفة السياسية الألمانية وغير الألمانية، ووحد بينهما اشتهاء تطوير نظرة إلى المجتمع مخالفة لنظرة الجيل السابق. وتلك كانت تجربة متشاطَرة بين أفراد جيل وُلد بعد العقد الثاني من القرن العشرين المشترك بينه أنه كان جيلا نهض ضد الحكم الشمولي، وتفجع على ما عاينه: الخطابة النازية وسلطانها على الأنفس والأبدان. وردةَ فعل منهما سعيا إلى التركيز في أبحاثهما على مسألة اللغة وعلى قضية التواصل.

وثمة مصدران فكريان وقفا وراء المجادلة: واحد ذو شهرة، والآخر ذو غمرة. الأول مدرسة فرانكفورت الشهيرة التي اشتغلت ضمن إطار فكري سُمِّيَ باسم «النظرية النقدية»، والثاني نظرية الأنساق التي استلهمت طراز العلوم الحيوية واشتغلت في ظله. ولَئِنْ اشتهر في المدرسة الأولى هوركهايمر وأدورنو، فإن عالم الأحياء لودفيج فون بيرتلانفي انغمر، رغم أنه وضع أسس نظرية الأنساق مبكرا عام ١٩٣٢. وإذ يعد هابرماس من الجيل الثاني من مدرسته، فإن لومان لا يمكنه أن يدعي أنه طور مدرسته؛ على أن كلاهما حاول تطوير تقليده النظري والتوجه به لا سيما نحو مفهوم «التواصل»؛ وهو المفهوم الجامع بينهما. وخلال محاولتهما المقاومة للعيش بعد الحرب، سعيا إلى الجواب عن الأسئلة المتعلقة بالأحداث الاجتماعية التي طرأت. وكلاهما تنبه إلى أهمية محاكمات نورنبورغ في حياتهما، لكن لومان أدرك أن مهمته إنما تكمن في الملاحظة النسقية مع حفظ المسافة إزاء كل انخراط، كما سعى، بوصفه رجل قانون، إلى إعادة الاعتبار إلى حكم القانون؛ هذا بينما اهتدى هابرماس إلى أن مهمته إنما تكمن في الانخراط المباشر في سياسة زمانه من خلال كتاباته في حقل الفلسفة السياسية.

وثمة سياق ثان حكم هذه المجادلة، وهو انقسام ألمانيا إلى شرقية وغربية؛ وذلك بما انعكس في انقسام علم الاجتماع الألماني إلى ماركسي ووضعي. وقد سعى الماركسيون الجدد الغربيون إلى التحرر من وصاية الإيديولوجيا الشرقية التي كانت تقول بنزعة تبسيطية، حتى وإن هم ما تبنوا الوضعية التبني الصريح. وقبل لقاء الرجلين، كانت هذه هي خريطة اهتمامهما: كلاهما فكر في المواضيع المشتركة المطروحة في مجتمعهما؛ وذلك في إطار مشروع بحث اجتماعي ينهل من الماركسية والتحليل النفسي والوضعية وبارسنز ونيتشه وفيبر ودوركهايم وزيمل. وإذ كانا ينهلان من هذا التراث المفاهيمي، على ما فيه من تخالف، سعيا إلى إجراء مناقشة لطائفة واسعة من الموضوعات: القيمة الشمولية للنظريات الاجتماعية، مفهوم النقد، إمكانات التنوير وحدوده، العقلانية، التفاعل بين الذوات ... ثم سرعان ما تطور النقاش إلى مفهوم محوري هو مفهوم «التواصل». وكان المدخل إلى المجادلة بينهما مسألة التنوير. إذ رأى الأول في التنوير «التنوير التحرري»، بينما تحدث الثاني عن «التنوير السوسيولوجي». وحين فكر لومان في التنوير، في سياق التراث الفكري للتحرر من التقاليد والآراء المسبقة، أدرك أن علم الاجتماع يلزمه أن يعاين حدود هذا التنوير وإكراهاته. فلئن كان التنوير يعني العقل والتعقيل، فإن علم الاجتماع قد لاحظ حدود التعقيل؛ إذ عاين كيف أن المجتمع كان دوما «يفسد» العقل، وأن المجتمع ذو نزوع «نقدي» إزاء فرط التعقيل الذي يفرض مزيد خطط وفائض برامج. وكانت القاعدة عند لومان: أن تَعْلَمَ شيئا عن المجتمع إنما يقتضي أن تَحْفَظَ مسافة عن المجتمع. كلا؛ ما كان المجتمع مفتوحا وحسب على المعرفة والعقل والتوافق . كما يدعي هابرماس. وإنما من شأنه أن «يفسد» هذه المشاريع. فالتنوير نفسه بحاجة إلى أن «تُنَوِّرَه» السوسيولوجيا.

مسار المجادلة ومنعطفاتها

عندما زار لومان طلبة فرانكفورت عام ١٩٦٩، تفاجأ كل واحد منهما بسواه. تفاجأ لومان، في دورات مدرسة فرانكفورت التكوينية، بأنها باتت تهتم أقل فأقل بالنقاش السياسي، وأكثر فأكثر بالبحث في أشكال التدليل والتسويغ. وبدورهم وجد طلبة فرانكفورت في لومان منظِّر أنساق ورجل قانون

وتنظيم اجتماعي موهوبا ذا اهتمامات فسيحة. وقد حل لومان محل أدورنو لا لكي يحدِّث الطلبة عن التخطيط والبيروقراطية، وإنما عن تاريخ العشق، لا بمنظور اجتماعي ضيق، وإنما بمعرفة تاريخية وبتأثير الأفكار والمعاني في التاريخ. على أن ما جمع بين التوجهين هو «المنعطف التواصلي». وبالجملة، في فرانكفورت فوجئ الفلاسفة أن لومان يَعْلَمُ عن التنوير الفلسفي أكثر مما يعلمون، كما فوجئ علماء الاجتماع بأنَّ هابرماس يدري عن النظرية الاجتماعية أكثر مما يدرون. وكانت ارتسمت عن لومان صورة رجل محافظ مدافع عن التنظيم البيروقراطي وعن الرقابة في دولة الإدارة إن لم نقل في دولة شركات رأسمالية. لكنه ألح، أكثر مما فعل هابرماس، على أن ما من فهم للمجتمع الحديث، قبل إرادة تغييره، اللهم إلا الفهم النسقي المناسب لتنظيماته وتعقيداته. هذا بينما كان الطلبة يعتقدون أن الأنساق هي الشر، هي الشيطان، وأن اللاأنساق أفضل خلقًا.

هذا وقد عمد مؤلف الكتاب إلى «إعادة بناء المجادلة» بين لومان وهابرماس تأسيسا على مبدأين: تتبع مروية المجادلة التتبع الزمني، وترتيب موضوعات الجدل الترتيب الموضوعاتي. من الناحية الزمنية، أمكنه تقسيم مراحل المجادلة إلى ثلاث: نقاش حول علم الاجتماع (قبل ١٩٧١)، اهتمام أولي بنظرية الفعل التواصلي (حدثت انطلاقته عام ١٩٧١)، فقصر النقاش على نظرية التواصل (امتد إلى حين وفاة لومان). وقد بدأت المجادلة لما قرر طلبة هابرماس نشر مساهمات لومان في نظرية الأنساق الحديثة والمعنى باعتبارها مفهوما أساسيا في علم الاجتماع. وكان أن صدّر لها هابرماس بملاحظات أولية في فلسفة اللغة، وباستدراكات على نظرية لومان. وقد استُلت هذه الملاحظات من محاضرات خاصة، ولم تكن منذورة للنشر. ولما سمع لومان بخطة النشر قَبِلَ بها، لكنه أراد أن يعلق على تعليقات هابرماس. ثم سرعان ما علق هذا بدوره على تعليق التعليق. وكانت أهم الموضوعات التي تناولتها تعاليق هابرماس: منزلة نظرية الأنساق، مسألة اللغة، الحقيقة، الإيديولوجيا، التفاعل بين الذوات، التفكر. بينما اهتم لومان بالمواضيع التالية: التعقيد، النقاش، الحقيقة، التطور، الشمولية، النقد، الإيديولوجيا. على أن هذا النقاش لم يفض إلى توافق، وإنما أورث قناعة بضرورة مواصلة تطوير برامج بحث عن الأنساق والتواصل وعن التواصل حول التواصل نفسه.

وفي ما يخص بؤرة المجادلة . التواصل . تنبه هابرماس إلى أن اللغة ما كانت مجرد أداة للاستعمال وإنما هي واقع اجتماعي قائم، وموطن التحاج، وأن لا تحاج إلا والشأن فيه أن يسعى إلى قول حقيقة الواقع. لكن لومان اعترض: وماذا لو كان المتجادلان يعيشان في عالمين متباينين بحيث يختلفان في منظورهما إلى «الواقع»؟ وهو ما يطرح مسألة التفاعل بين الذوات التي تفترض تعالي المرء عن ذاته لملاقاة المشترَك مع ذات سواه. ثم إن التواصل فيه الصريح . العباري . وفيه الضمني . الإشاري. وإذ نظر هابرماس إلى

أن التفاعل بين الذوات حوار لساني، لاحظ لومان التفاعل بحسبانه «تحاضرا»؛ أي حضورا لذاتين وليس بالضرورة «تحاورا»؛ إذ ليس يمكن اختزال التواصل في التواصل اللساني وحده (الصلاة للرب في صمت مثلا تواصل غير لفظي). وفضلا عن هذا وذاك، يفترض هابرماس أن في عملية التواصل تتحكم الذات في الفعل، كما لو كان التواصل أفكارا متحكما فيها، هذا بينما ما كان التواصل نقلا لأفكار من ذات إلى أخرى. وهنا يتحدث المؤلف عما يسميه «فلسفة لومان» التي تميز تمييزا حادا بين «الأنساق النفسية» . شأن الأفكار والأحاسيس (الأحلام، الصور) . و«التواصل» الذي لا يتعلق بالضرورة بها، وإنما يكون تواصلا اجتماعيا ومعرفيا وليس مجرد «نفسانيات». بالتبع لذلك حدثت المجادلة بين الرجلين حول موضوع «العالم المعيش»؛ أي ذاك العالم المشترك المؤلَّف من «البداهات والقناعات الراسخة» والذي يسمح لذاتين أو أكثر أن ترسما إطار فهم للعالم متشاطَر على أساس تأويل متقاسَم قائم الذات بدءا. وما كان هذا العالَم فحسب «أرضية» أو «منطلقا»، وإنما هو «أفق» أو «تطلع» نسعى إلى تحقيقه جميعاً عن طريق المناقشة، على نحو ما ادعى هابرماس. والحال أن شأن هذا المفهوم، عند لومان، أنه ينهض على مفارقة. إذ لا يمكن أن يكون «العالم المعيش» هذا أرضية وأفقا، منطلقا وهدفا، في الآن عينه؛ بحيث لَئِنْ كان قائما راسخا بين الذوات فليس يمكن أن يكون متحركا مستقبليا. ومن هنا يقترح استبدال الثنائي . أرضية/ أفق . بالثنائي «عالم مستأنَس» (أرضية قائمة) و«عالم غير مستأنَس» (أفق منظور). هذا بينما يعيب هابرماس على لومان ضيق مفهومه للعالم . العالم المحيط . المستوحى من علم البيولوجيا . النسق الحي. ويرد لومان بأن الضيِّق ما كان عالمه هو وإنما عالم هابرماس. ذلك أنه كلما اقترب الملاحظ من موضوعه، حصّل على رؤى أوسع وآفاق أكثر؛ إذ حين نؤوب إلى «العالم المعيش» لا نؤوب بالضرورة إلى «بيتنا» المألوف لنا المتوافق عليه، وإنما إلى منظورات متخالفة.

ولعل إحدى لحظات هذه المجادلة الأقوى، ما أفضت به المجادلة الصغرى من طرح سؤال المجتمع: ترى ما الذي يَكُونه المجتمع؟ وقد شكل هذا الموضوع مثار جدال بين الرجلين منذ السبعينات وامتد إلى التسعينات من القرن الماضي. والذي عند لومان أنه لا ينبغي أن يُكتفى بوصف المجتمع بوفق اصطلاحات منمطة: المدينة، السوق، الصداقة، الجماعة ... فهذه كلها مفاهيم اختزالية. كما لا يمكن فعل ذلك بدءا من أنظمة حكمه . ديمقراطية، ملكية، ديكتاتورية. إنما مفهوم المجتمع يحدد بمعناه وبتمايزه وبتطوره؛ أي بنسقه في إطار عالمه المحيط. وما كان هو مجتمعا مغلقا . إذ يشهد على التنوع والاصطفاء والتثبيت . وإنما يمكن أن يقال عنه إنه نسق يضبط نفسه بنفسه. لكن الإشكال الناشب بين الرجلين هو: أيُّ طراز وصفي وتحليلي نستخدمه في وصف المجتمع وتطوره: أهو الطراز الماركسي؟ يتردد هابرماس هنا، بينما يجيب لومان بأن ذاك طراز قد ولى عهده.

خلاصة القول، تكشف المجادلة بين الرجلين عن حساسيتين فكريتين متباينتين: واحد «مفكر استثمار» الفرصة الضائعة . فرصة التنوير الذي زاغ عن مساره، وذلك بالعودة إلى ينابيعه ومقاصده. والثاني «مفكر حدود» يقف عند حدود التنوير نفسه ومشاكله. ودوما وسم لومان أفكار هابرماس عن المناقشة المتحررة من السيطرة بكونها ضربا من الطوباوية وجنسا من الرومانسية الحانّة إلى النقاشات السقراطية كما لو أن هذه يمكن أن تستعمل لنسترشد بها في فهم المجتمع الحديث. هذا بينما نظر هابرماس دوما إلى تحليلات لومان على أنها شديدة التواطؤ مع المواضعات المؤسسية في القانون وأشكال التنظيم والتدبير المسيطرة، وأنها بالغة التأثر بتصورات العلم الطبيعي وقد اتخذت صورة نظرية نسق ليس يمكن التوليف بينها وبين الفلسفة الحديثة. وفي أسوأ الأحوال، كل واحد منهما نظر إلى سواه على أنه خان التنوير.

كتاب شيق ينقل تفانين هذه المجادلة، ويستقصي تطورها الزمني، ويختم بالانفتاح على فلاسفة ومفكرين آخرين تداولوا النظر في مواضيع الجدل ضمن إطار آفاق أرحب مما فعل المتجادلان؛ شأن فوكو وبورديو وغيرهما. وهي نقاشات دارت على النظرية الاجتماعية والسلطة والعقلانية والتواصل.

عنوان الكتاب : المجادلة بين هابرماس ولومان
اسم المؤلف: جورم هارست
دار النشر: مطابع جامعة كولومبيا/ نيويورك
سنة النشر: 2021

* أكاديمي مغربي

صناعة العواطف

لوي كيري

سعيد بوكرامي *

تتحكم عواطف الإنسان في طريقة إدراكه للعالم، وتضعه على المحك لتجعله يتصرف موظفا في الآن نفسه قدراته العاطفية والعقلية. إن البحوث الحديثة، التي تشمل علم الأعصاب وكذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية، تميل إلى اعتبار العواطف محركًا لأفعال الإنسان، فهي توجهها نحو البيئة التي تصنعها وتقوم بتعديلها. يقترح هذا الكتاب استكشاف أوجه التقدم في علم العواطف، وإعطاء أهمية للبراغماتية، دون إهمال المقاربات الفينومينولوجية.

وعلى النقيض من أطروحات علم الأحياء العصبية التي قد تقلل من قوة العاطفة البيولوجية، فإن المؤلف مهتم بالأبعاد الاجتماعية الثقافية والتعبيرية للعواطف التي يدافع عنها ديوي ويتغنشتاين. كما يتناول ظاهرة العواطف الجماعية من زاوية اجتماعية وأنثروبولوجية تبدأ من أعمال دوركهايم وماوس، للتأكيد على دور المجموعة في نشأة العواطف المدمرة في بعض الأحيان، ولكن الإبداعية أيضًا. وتحليل هذه الظاهرة حاسم لفهم الأحداث السياسية وما تثيره من عواطف اجتماعية، فضلاً عن الطقوس والممارسات الفنية.

يحلل عالم الاجتماع لوي كيري العواطف، سواء كانت فردية أو جماعية؛ فيقوم بتشريح هذه التأثيرات الشعبية التي تعتبر في الأصل أفكارا وردود أفعال. لا يوجد شيء أكثر كونية من العواطف؛ لأنها لا تخضع للزمان أو المكان، وتتجاوز الثقافة والتاريخ. في كتابه الجديد يسعى عالم الاجتماع لوي كيري إلى تعرية هذه الأسطورة. لهذا نجده يقول :» في الواقع، تختلف العواطف باختلاف السياق، والقيم التي تَعْبر وجود الأفراد. بمعنى آخر، العواطف قابلة للتغيير، والانحراف، والتعديل، والتوجيه. وبالتالي هناك عواطف قد اختفت، واستبدلت بعواطف أخرى، في الواقع، اختفت العاطفة جزئيًا من سياق المعتقدات والممارسات والأعراف والقيم التي جعلتها تتمظهر في وقت من الأوقات. علاوة على ذلك، تختلف العاطفة عن الإحساس. وهكذا، فإن ما يمكن أن يُنظر إليه على أنه شعور خاص بكل فرد يتبين أنه أكثر مؤسسية ولا شخصية، أي أنه «راسخ في مجتمع وثقافة معينة. ومع ذلك، لا ينكر المؤلف الظاهرة البيولوجية: لأن العواطف وظيفية للحفاظ على حياة الأفراد. وبناءً على هذا البحث الذي أنجز داخل الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، عاد لوي كيري إلى أصل مصطلح «العاطفة» وبحث في جذوره، بحيث يذكر أنَّ الكلمة ظهرت في القرن الخامس عشر. في ذلك الوقت، كان لكلمة «عاطفة» معنى ازدرائي، يتردد صداه في الانتفاضة الشعبية. لكن مع مرور القرون، اتخذ هذا المصطلح المرتبط بالمزاج السياسي معنى آخر ارتبط بما هو «نفسي» ولا يختص إلا بالفرد. لكن لوي كيري سيستفيد من تحليلات داروين وجيمس حول العواطف، التي تتناول التأثيرات الجماعية بغض النظر عن العواطف الفردية. وتتجلى عموما في التأثيرات الإيديولوجية والسياسة، التي تبرز على سبيل المثال، خلال المظاهرات والمناظرات والمباريات إذ تحاول العواطف الجماعية فرض نفسها، كي تتحول إلى عواطف شرعية.

لا تنفلت هذه العواطف غالبًا من بعض الانحرافات: وبالتالي، يمكن أن تتحول إلى بغضاء مثلما نلاحظ(في الانتخابات السياسة ومباريات كرة القدم). يقتبس عالم الاجتماع مفهومه من نيتشه الذي يعتبر: «أن البغضاء هي أولاً وقبل كل شيء ذلك التأثير الذي ينشأ عن عجز المرء عن إخضاع من يصيبه بالأذى والجرح » ثم يتابع لوي كيري: « إن الإنسان الحاقد يسمم نفسه في سياق مستمر من الانغلاق». ولأن هذه المجتمعات أزعجت نظام القيم؛ فهي تفضل طرح قيم مرتبطة بالجمود على حساب القيم الحيوية. بالنسبة إلى كيري، يتضح أن التعليم هو أحد الحواجز التي تمنع العواطف من الاستنارة. إن الأمر يقتضي «تثقيف العواطف حتى تستنير بالذكاء» وحتى لا يتحول الشعور بالظلم إلى شعور بالعجز، يجب أن يكون الأفراد قادرين على الاعتماد على المجتمعات المنظمة، الخالية من التأجيج العاطفي على البغضاء وتقديم مؤسسات قوية تضمن لهم العدل، وإلا ستكون نتائج العواطف المدجنة والمسيّسة عداوات وحروب وكوارث إنسانية؛ لأن العواطف المعتدلة البعيدة عن مصالح النخب المستفيدة من النزاعات السياسية والعسكرية، تظل دليلاً على الصحة الجيدة للحياة السياسية والديمقراطية.

تشكل مسألة العواطف مشكلة علمية في غاية التعقيد: كيف نحددها؟ من أين تنبع؟ هل هي فطرية أم مكتسبة؟ هل هي كونية أم محلية؟ هناك الكثير من الأسئلة التي لا تزال دون إجابة، على الرغم من الأدبيات الكثيرة الموجودة حول العواطف في جميع التخصصات: الفلسفة، وعلم الأحياء، وعلم الأعصاب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، إلخ. لذلك من البديهي أن يشكل العمل على العواطف تحديًا حقيقيًا لأي بحث علمي. ومع ذلك، يبدو أن عالم الاجتماع لوي كيري واجه هذا التحدي في كتابه «صناعة العواطف»، والذي يقدم انعكاسًا مبتكرًا ومحفزًا للغاية حول نظريات العواطف. يقدم عالم الاجتماع مجلدًا مهمًا من ٤٢٦ صفحة، يتكون من جزأين رئيسيين: «العواطف: بين علم الأحياء والثقافة والمجتمع»، يتكون الجزء الأول من أربعة فصول. أما الجزء الثاني فيتألف من خمسة فصول، وجاء تحت عنوان «طبيعة وأشكال العواطف الجماعية». من خلال نظرة قرائية عامة، فإنَّ الكتاب يقدم بلغة تفسيرية بسيطة، حيث تتخلل كل فصل خاتمة مختصرة تجعل القراءة في غاية السلاسة. علاوة على ذلك، يضع عالم الاجتماع لنفسه هدفًا مزدوجًا يتجلى ماديًا في جزئي الكتاب. من ناحية أخرى، يتعلق الأمر بتقديم قراءة نقدية للأفكار السابقة حول نظريات العواطف في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع. ومن ناحية أخرى، يقدم كيري فرضيات مبتكرة حول ما يسمى بالعواطف الجماعية: من خلال مقاربة براغماتية، معتمدا خصوصا على نظرية جون ديوي حول السلوك، فيقوم بفحص العواطف في تمظهراتها الفردية

والجماعية.

خصص الجزء الأول من الكتاب لمراجعة نظريات العواطف، بالإضافة إلى جوانبها البيولوجية والنفسية، والجوانب التقييمية والمؤسسية. يبدأ كيري بأول إشكال صعب ويتمثل في المصطلحات. في الواقع، لطالما كانت مصطلحات التأثير، أو ما يسميه فيتجنشتاين «لغة العواطف العادية»، مصدر التباس وارتباك. وهكذا يتتبع كيري تاريخ المفردات الدالة على التأثير والانفعال، وعلى وجه الخصوص كلمة «العاطفة»: بداية سيبحث عن أصلها، ثم تطورها الدلالي إلى معنى سياسي مثل «الاضطرابات الشعبية، التي تثير» اختلالًا اجتماعيًا « (ص ٣١)) وانتقالها إلى معنى نفسي. سيشرح كيري لاحقًا (الفصل الثاني) أن مفردات العواطف والمصطلحات التي تتكون منها لا تنطبق على الإطلاق على حالات الدماغ بل تنطبق، كما يشير ماكسويل بينيت وبيتر هاكر، «على الكائنات التي تختبر العواطف وتظهرها في تصرفاتها». ثم يقدم كيري فصلًا ثانيًا مهمًا انتقد فيه أكثر نظريات العواطف شهرة، ولا سيما نظريات داروين وجيمس. وعند قيامه بذلك، اقترح عالم الاجتماع العودة إلى نظرية العواطف عند جون ديوي، وهي نظرية أقل شهرة من نظرية ويليام جيمس. في الواقع، إذا كانت نظرية الأخير معروفة بشكل أفضل، فإن كيري ينتقد مفهومها الثابت والخطيّ، لذلك فهو يعتمد على فكر ديوي، الذي يدعونا لفهم التجربة العاطفية بطريقة شمولية وليس بطريقة مجزأة. وبالتالي، فالمسألة لا يمكن ربطها بالعواطف مثل - الفرح، والغضب، والخوف - ككيانات مستقلة، ولكن يجب أن تؤخذ كتدفق عاطفي مختلط.

عند هذه اللحظة من التأمل، يطرح كيري فرضيته عن العواطف الموزعة. استنادًا إلى «الإدراك الموزع»، تشير الصيغة إلى اعتماد كيري على المنهج البيئي. وبالتالي، تُفْهم العواطف على أنها تجارب موزعة بين الكائن الحي والبيئة. يدعم عالم الاجتماع فرضيته بالفصلين التاليين (الثالث والرابع)، حيث يوضح أولاً أن السلوكات العاطفية تتشكل، وإن لم تتشكل بالكامل، بواسطة الظروف الاجتماعية والثقافية. ولتوضيح ذلك، يستحضر بعض الأمثلة عن العواطف التي لا توجد في الغرب، مثل العاطفة المسماة «فاغو»، والتي لاحظتها عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية كاثرين لوتز لدى شعب إيفالوك. وهكذا، فإن الطابع المؤسسي للذخيرة العاطفية يبرر بالنسبة له فرضية توزيع

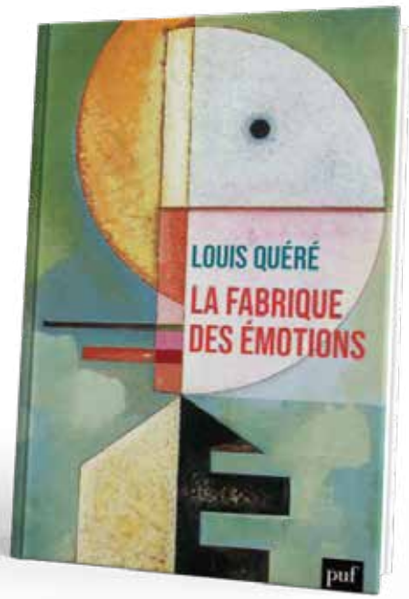

العواطف. ثم يفحص كيري طرق اشتغال العواطف، هذا «الاشتغال الذي تقوم به العواطف نفسها، وليس بواسطة الشخص الذي ينبغي عليه أن يدير عواطفه وتعبيراتها» (ص ٢١٣). في الواقع، يعتقد كيري أن العواطف تعمل وفق الموضوع و البيئة، بقدر ما «تعيد تكوين البيئة أو توحد أو تدمج التجربة؛ إذ يستعاد توجيه النشاط الحالي بحيث يمكن إكماله حتى نهايته «(ص ٢١٣). لكن فرضية العواطف الموزعة تتجاوز مجرد التوزيع البسيط بين الموضوع والبيئة لتشمل عدة مواضيع تعمل في البيئة نفسها. على هذا المنوال يتناول كيري في الجزء الثاني من كتابه مسألة أكثر تعقيدًا تتعلق بالعواطف الجماعية، من خلال طرح السؤال التالي: «كيف يمكن وصف هذه العواطف التي تُختبر جماعيا ويُعبر عنها في انسجام؟ (ص ٢١٧). للإجابة عن هذا السؤال، يبدأ عالم الاجتماع بمناقشة نموذج الجمهور، لا سيما في الأساليب التي يشار إليها عادة باسم «علم نفس الجماهير» منذ القرن التاسع عشر. يتقاسم كيري مع دوركهايم انتقاداته حول هذا الموضوع، ويفضل الوصف «الجماعي». ويشير إلى أن نظريات الجمهور قد أهملت على حساب العواطف الجماعية. ومن هذا المنظور، تعتبر العواطف أحد العناصر المكونة لأي مجموعة.

يعتمد عالم الاجتماع بعد ذلك على المناهج الفلسفية، لا سيما تلك المتعلقة بعلم الوجود الاجتماعي، في محاولة لمواجهة التحدي المتمثل في الفردية المنهجية، التي ترى في العواطف الجماعية مجموعات فقط من العواطف الفردية. يقدم كيري مجموعة من المقاربات، مثل تلك المرتبطة بالتّذَاوُت، حيث تتداخل عواطف الموضوعات و «تساهم في تزويد المجموعة بوعي أوضح عن الذات» (ص ٢٦٣)، أو المقاربة الجماعية، حيث أن» الأفراد الذين يختبرون العواطف المشتركة -هم- جزء من التعددية غير المنظمة «(ص ٢٨٠). ثم يدرس كيف يمكن أن يكون الانتماء إلى مجموعة ما معينا لا ينضب للعاطفة الجماعية، مستشهداً على وجه الخصوص بأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية حول الطقوس الجماعية. في الفصلين الأخيرين، يتعلق الأمر قبل كل شيء بالعواطف الجماعية في السياق العام اعتمادا على أفكار «موس» حول التعبيرات الطقسية - ولا سيما في حالة الحداد - سيحاول كيري فحص الأدوات اللغوية والرمزية للعواطف: «لكي تكون هناك عاطفة جماعية، يجب أن تكون هناك أداة ترميز تمثلها عن طريق الإيماءات والأفعال والحركات التقليدية. تمثل طقوس الجنازة هذه الآلية بحيث يتم إنتاج التعبير عن العواطف بشكل جماعي وسلوك جماعي «(ص ٣٣٣). في حالة العواطف العامة، «لا تعطي المشاركة للعاطفة شكلها الجماعي، بل ترميزها في الفضاء العام، باستخدام الوساطات المادية والرمزية التي تتمظهر على شكل» فعل جماعي «(ص ٣٥٢) . وبذلك، يُبين كيري أخيرًا أن العواطف الجماعية، المستثمرة في المجال السياسي، يمكن أن تكون مدمرة بل يمكن اعتبارها «لعنات للديمقراطية» (ص ٢٢٢).

في الختام، لا يسعنا إلا أن نحيي ثراء كتاب صناعة العواطف، والذي تمكن من مواجهة مجموعة كاملة من التحديات المعرفية المتعلقة بالعواطف. في الوقت الذي نشهد فيه انتشارًا للأبحاث التي تكشف استغلال العواطف في الاقتصاد والسياسة والتوجيهات الايديلوجية. إن كتاب كيري يتميز عن غيره بقوة مقترحاته النظرية وصلابة فرضياته، لا سيما حول العواطف الجماعية.

الكتاب: صناعة العواطف.

المؤلف: لوي كيري

الناشر: دار بيف. باريس. فرنسا.

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات:425 ص

اللغة الفرنسية

* كاتب ومترجم مغربي

ستة أوجه للعولمة

أنثيا روبرتس ونيكولاس لامب

محمد السالمي *

في ظل الوتيرة المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم، يبرز مفهوم العولمة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، محط أنظار الجميع لما تشكله من ركيزة أساسية في حياة الأمم. حيث استطاعت العولمة أن تبني الجسور عبر الحدود الوطنية كما انتشلت الملايين من براثن الفقر. أما جانبها السيئ، فهو أن العولمة تعزّز من الشعبوية وكذلك التنافس بين القوى العظمى الذي بدوره يؤدي إلى تمزق العالم. في هذا السياق يأتي كل من أنثيا روبرتس ونيكولاس لامب في كتاب «ستة أوجه للعولمة» لتقديم دليل للمناقشات العامة المستعصية حول فضائل العولمة الاقتصادية ورذائلها، حيث يتخطى التعقيد ليكشف عن خطوط الصدع التي تفرقنا ونقاط الاتفاق التي قد تجمعنا معاً. استطاع المؤلفان تحليل المصالح والأيديولوجيات التي تقودنا لهذه المناقشات المستعصية، والتي تكمن في لب الكثير من الخلافات السياسية وصنع القرار. ويتمثل منهج الكتاب في سرد ست روايات متنافسة حول فضائل العولمة ورذائلها: ابتداءً من وجهة نظر المؤسسة القديمة القائلة بأن العولمة تفيد الجميع، وانتهاءً بالاعتقاد المتشائم بأنها تهددنا جميعًا بالأوبئة وتغير المناخ.

وللتعريف بمؤلفي الكتاب، فإن أنثيا روبرتس هي أستاذة في كلية الحوكمة العالمية في الجامعة الوطنية الأسترالية. تتمحور مجالات بحثها في القانون الدولي، والتجارة والاستثمار، والتحول الجيوسياسي في الحوكمة العالمية. كما عملت سابقًا أستاذة في كلية الحقوق بجامعتي كولومبيا وهارفارد. في المقابل، يشغل نيكولاس لامب درجة أستاذ مشارك في كلية الحقوق بجامعة كوينز الكندية. وقد كان سابقاً محاميًا لتسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية وله منشورات كثيرة حول قوانين التجارة الدولية.

يتلخص الكتاب في ست روايات مختلفة حول العولمة: الأولى، قصة المؤسسة المتفائلة القائلة بأن العولمة تفيد الجميع. بينما الرواية الثانية، هي يسارية شعبوية تنتقد النخب. والثالثة، هي رواية يسارية تنتقد سلطة الشركات. والرواية الرابعة هي يمينية شعبوية تنتقد انتقال الشركات إلى الخارج والهجرة على نطاق واسع. بينما الرواية الخامسة، هي رواية يمينية تنتقد صعود الصين وتتحدث عن البعد الجيوستراتيجي. أما الرواية السادسة والأخيرة، فتعطي سرداً متشائما يركز على البيئة والأوبئة. وتختلف هذه الروايات عن بعضها البعض في تحديد الجهات الفاعلة التي فازت أو خسرت من العولمة.

ابتداءً من رواية المؤسسة التي ترى أن الجميع يكسب من العولمة؛ فمناصرو هذه الرواية يرون أن التجارة الحرة لا تزيد الرخاء فحسب، بل تدعم أهدافاً أخرى أيضاً، مثل تعزيز السلام. ويعكس هذا الرأي إجماع الأحزاب السياسية الرئيسية في معظم الديمقراطيات الغربية وخارجها، وقد تبنته العديد من المؤسسات الدولية، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية. تنظر رواية المؤسسة إلى الاقتصاد العالمي نظرة شمولية. والمقياس الذي تستخدمه لتحديد المكاسب في العادة هو حجم الاقتصاد، وعادة ما يكون الناتج المحلي الإجمالي. ولا ريب أن هناك إجماعا لدى الأغلب أن العولمة الاقتصادية قد أنتجت مكاسب اقتصادية مطلقة على المستوى الكلي، سواء تم قياسها على المستوى الوطني أو العالمي. ومع ذلك، فإنَّ توزيع هذه المكاسب، سواء داخل البلدان وعبرها، يعطي بعدا من التشاؤم.

وفي سياق التيار السياسي اليساري، يطرح المؤلفان روايتين تشددان على كيفية تدفق المكاسب من العولمة الاقتصادية إلى الأفراد الأغنياء والشركات متعددة الجنسيات. حيث تركز الرواية الشعبوية اليسارية على كيفية توجيه الاقتصاديات مكاسب العولمة إلى الأقلية المتميزة. ويشير مؤيدو هذه الرواية إلى أنه حتى في الوقت الذي شهدت فيه البلدان ارتفاعًا في ناتجها المحلي الإجمالي، فقد شهد العديد أيضًا زيادة حادة في عدم المساواة، واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتفريغ الطبقة الوسطى. ويدافع أنصار هذا التيار عن الناس العاديين الذين خسروا أمام النخبة الفاسدة.

ومن جانب رواية قوة الشركات، استطاعت شركات متعددة الجنسيات الاستفادة من السوق العالمية للإنتاج بثمن بخس، والدخول في أسواق جديدة، ودفع أقل قدر ممكن من الضرائب. تستخدم هذه الشركات سلطتها لتشكيل القواعد الدولية في المجالات التي تفيدها، مثل التجارة والاستثمار، كما تضغط ضد التعاون الدولي الفعال بشأن الموضوعات التي قد تضر بمصالحها. ووفقاً لرواية قوة الشركات، تنتج العولمة الاقتصادية العديد من الخاسرين أبرزهم العمال والمجتمعات المحلية وقد تتعدها إلى الحكومات، ولكن هناك فائز واحد فقط وهي الشركات.

وعلى الرغم من أن هاتين الروايتين تركزان على إعادة التوزيع للثروة، إلا هناك اختلافا. يلقي الخطاب الشعبوي اليساري الضوء على المشاكل المحلية، والمتمثلة في انتشار عدم المساواة داخل البلدان. على النقيض من ذلك، تتبنى رواية قوة الشركات نهجًا عابراً للحدود الوطنية ويعامل شركات متعددة الجنسيات والطبقة العاملة في المهجر على أنهم الفاعلون الرئيسيون. وغالبًا ما تتشابك الروايتان في أماكن مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، حيث ينتقد الكثير من اليسار على نطاق واسع الأثرياء، سواء كانوا أفرادًا أو على مستوى شركات. وعلى النقيض من ذلك، ففي العديد من بلدان أوروبا الغربية، حيث مستويات عدم المساواة

المحلية أقل، تبرز عنصر قوة الشركات بشكل أكبر.

وفي سياق الرواية الرابعة، ينظر الكتاب في الرابحين والخاسرين من العولمة من جانب التيار السياسي اليميني؛ حيث ترى الرواية الشعبوية اليمينية أن العمال وأسرهم هم الخاسرون من العولمة اقتصاديًا وثقافيًا، وهي تختلف من بلد لآخر. ففي الولايات المتحدة، أدى فقدان وظائف العمالة غير الماهرة لصالح الصين والمكسيك إلى تدمير مجتمعات التصنيع هناك. أما في أوروبا الغربية، فتعتبر المشاعر المعادية للمهاجرين والمخاوف بشأن فقدان السيادة من السمات المركزية للرواية. وفي المملكة المتحدة، صوت الأغلب لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي لما اعتبروه إملاءات من مؤسسات الاتحاد الأوروبي في بروكسل تجاه ملف المهاجرين.

تشترك الرواية الشعبوية اليمينية مع النسخة اليسارية في عدم ثقة عميق في النخب، لكن الروايتين تشتركان في سبب إلقاء اللوم على النخبة: في حين يلوم الشعبويون اليساريون النخبة على إثراء أنفسهم على حساب العاملين. والطبقات الوسطى، يندد الشعبويون اليمينيون بفشلها في حماية السكان الأصليين الكادحين من التهديدات التي يشكلها «الآخر» الخارجي. وبالتالي، فإنَّ السرد الشعبوي اليميني يتمتع بجودة أفقية قوية بيننا وبينهم، سواء تم التعبير عنها من خلال القلق بشأن حماية العمال من نقل الوظائف إلى الخارج أو حمايتهم من تدفق المهاجرين الذين قد يتنافسون على تلك الوظائف، ويعيشون على نظام الرعاية الاجتماعية، أو تهديد إحساس المجتمع المحلي بالهوية.

وتسلط الرواية اليمينية الشعبوية الضوء أيضًا على الانقسامات الجغرافية داخل البلدان، مثل الثروات المتباينة للمدن الحضرية المزدهرة والمناطق الريفية المتدهورة. وبالنسبة لمؤيدي هذه الرواية، فإنَّ هذه التقسيمات الجغرافية ترسم خرائط لنظم قيم مختلفة؛ فالمناطق الريفية هي معاقل للقيم الثقافية المحافظة مثل التقاليد والوطنية، بينما تمثل المراكز الحضرية «العولمة» غير مقيدة وغير أخلاقية. ويمكن القول بأن هذه الانقسامات الثقافية هي أكثر أهمية من الانقسامات القائمة على الطبقة الاجتماعية أو الدخل.

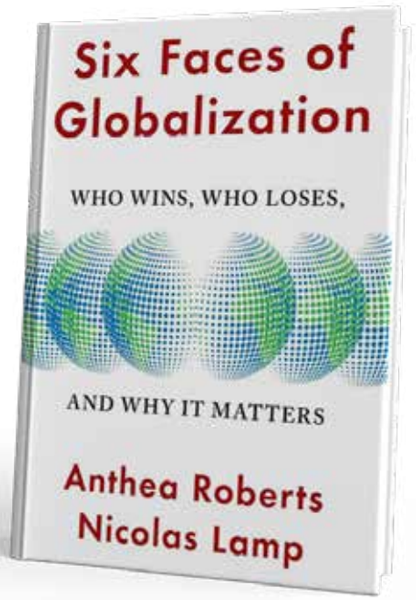

أما الرواية الخامسة فتركز على البعد الجغرافي الاقتصادي متمثلة بالمنافسة الاقتصادية والتكنولوجية بين الولايات المتحدة والصين. وعلى الرغم من أن كلا البلدين قد استفاد من العولمة الاقتصادية من حيث القيمة المطلقة، إلا أن الصين سارعت إلى سد الفجوة مع الولايات المتحدة بشكل كبير خلال العقدين الماضيين. تنظر الولايات المتحدة إلى الصين بشكل متزايد على أنها منافس استراتيجي وتهديد أمني محتمل بدلاً من كونها مجرد شريك اقتصادي. وبدلاً من الإشادة بالتجارة والاستثمار على أنهما يعززان الرفاهية الاقتصادية ويزيدان من احتمالات السلام، تؤكد هذه الرواية على المخاطر الأمنية الناتجة عن الترابط الاقتصادي والتواصل الرقمي مع منافس استراتيجي. لم يعد من الممكن معاملة الصين كدولة نامية بعد الآن، وعلى عكس معظم الاقتصاديات الأخرى في العالم، استمر الاقتصاد الصيني في النمو حتى في ظل الوباء، وإن كان بمعدل أقل من ذي قبل. كما يُنظر إلى الصين على أنها منافس للولايات المتحدة اقتصاديًا وتكنولوجيا، وقد خلق هذا التحدي توترات ليس فقط بين قوى الناتو ولكن في جميع أنحاء العالم.

تركز الروايتان من جانب التيار اليميني على التهديدات الخارجية، إلا أنَّ هناك بعض الاختلاف بين الروايتين. تركز الأولى على الخسائر الثقافية وكذلك الخسائر الاقتصادية، في حين أن الأخيرة تعترف أكثر بالقوة الاقتصادية النسبية للدول وقدرتها على دعم القوة السياسية والعسكرية. كما تأسف الأولى على فقدان وظائف التصنيع في الماضي، بينما تركز الثانية على الفوز بالسباق في تقنيات المستقبل، مثل شبكات الجيل الخامس والذكاء الاصطناعي. وتستهدف الأولى العمالة المهاجرة الذين يقوضون العمال المحليين، بينما تلقي الأخيرة نظرة انتقادية على العلماء والمهندسين الصينيين الذين قد يسرقون التكنولوجيا الغربية.

وفي الرواية الأخيرة والأكثر تشاؤما هو أن الجميع يخسر في ظل العولمة. يعتقد مناصرو هذا التوجه أنه كلما زادت العولمة سارع خطر انتشار الأوبئة وتغير المناخ. ساهم تغير المناخ الناجم عن الاحتراق غير المحدود للوقود الأحفوري إلى ذوبان الجليد في القطب الشمالي، وذوبان الأنهار الجليدية في جبال الألب وجبال الهيمالايا، وزيادة تواتر الأعاصير والتسونامي في كل من اليابان وإندونيسيا والولايات المتحدة. وفي الآونة الأخيرة، تسببت درجات الحرارة المرتفعة القياسية في حرائق غابات لا يمكن السيطرة عليها، وتسببت في وفاة ملايين الحيوانات ومئات البشر.

وفي الختام، يقدم الكتاب رؤية عظيمة حول واقع العولمة، حيث تمكن المؤلفان من مساعدة القراء على فهم الوجوه المتعددة للعولمة من خلال تحديد الروايات المتعددة التي تغذي الحركات السياسية المختلفة ووجهات نظر النقاد. يجبرنا هذا الكتاب على تغيير موقفنا، والخروج من منطقة الراحة الخاصة بنا، ورؤية العالم بشكل مختلف وعلى نطاق أوسع. حاز الكتاب على استحسان القراء والنقاد على حد سواء، وتم تضمينه في قائمة الفايننشال تايمز ٢٠٢٢.

الكتاب: ستة وجوه للعولمة
المؤلفان: أنثيا روبرتس ونيكولاس لامب
الناشر: Harvard University Press
سنة النشر: 2021
عدد الصفحات : 400 صفحة
اللغة: الإنجليزية

* كاتب عُماني

الإنسان هو ما يأكله... نظم التغذية العالمية

آنا بافلوفسكايا

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

من الوهلة الأولى يبدو عنوان الكتاب بسيطًا ومُعتادًا، يتمحور حول الطعام وفنون الطهي، ولكن الواقع أنَّه مزيج بحثي تتضافر فيه علوم مختلفة لم نعتد على جمعها في مجال الدراسات الإنسانية كفن الطبخ والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس العرقي وغيرها. واللافت أن هذا المزج الذي تقترحه المؤلفة لكتابها إنما جاء ليوسّع وينوّع وجهة نظرها في الموضوع الذي طرقته، فهي لا تعزز فهمنا لتاريخ الأطعمة وكيفية طهيها عبر العصور حتى يومنا الراهن، بقدر ما تحاول الإجابة عن أسئلة معقدة حول عشوائية ما نأكله، وما إذا كان طعامنا تحدده تفضيلاتنا الشخصية، وإن كُنّا نقوم طواعية أو كرها بإعادة نظام التغذية المستدام الذي تمَّ تطويره قبل ولادتنا بوقت طويل، وهو قائمة من المنتجات والأطباق الأساسية وطرق تحضيرها، إلى جانب تقديم الطعام وحفظه وتخزينه، فضلا عن المحظورات فيما يتعلق بنوعية الطعام وطريقة أكله. بالإضافة إلى ذلك، يُظهر الكتاب مدى تأثير كل شيء متعلق بالتغذية على تاريخ البشرية العام منذ القِدم، وعلاقات الشعوب بعضها ببعض، ووعيها بهويتها، ليس عبر السمات القومية وحدها بل من خلال المطبخ أيضًا.

ينطلق موضوع الطعام من حقيقة أنه، وفقًا للعالم والمؤرخ والإثنوغرافي الأمريكي الشهير ليوس هاري مورغان، مُنتَجٌ قامت البشرية عليه، وبحسب الباحثة فإنَّ التغذية هي العامل الأول لهيمنة الإنسان على الأرض: «إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يُقال إنه اكتسب سلطة مطلقة على إنتاج الطعام؛ إذ لم يكن الإنسان قبل هذا أعلى من الحيوانات. وبدون توسيع وتطوير التغذية كأساس للوجود البشري، لم يكن بوسع الإنسان أن يتمدد إلى مناطق أخرى (...) وأن يغطي سطح المعمورة بأكمله. أخيرًا، وبدون تحقيق سلطة مطلقة على إنتاج الغذاء من حيث تنوعه وكميته، لم يكن ممكنا للبشرية أن تنمو لتصبح أممًا مختلفة» (١٨-١٧).

تؤكد الباحثة على أن النظم الغذائية لعبت دورًا كبيرًا في حياة البشرية لدرجة أن الفلاسفة لجأوا إليها في حلّ مسائلهم، بما فيها موضوع الجدل حول أشكال الحُكم عند الشعوب. المُفكر الفرنسي جان جاك روسو يؤمن أن الاختلافات الغذائية تعتمد بدايةً على الظروف المناخية ثم تؤثر بدورها على مستوى تحضّر الشعب. بالنسبة له، فإن الحضارة وشكل الحكومة والغذاء الذي ينتجه الشعب ويستهلكه أشياء تنتظم في خط نظريّ واحد. ومثلما تَنقُل المؤلفة عن روسو فإن «الأماكن المُجدبة، حيث المحصول لا يساوي العمل المبذول لاستخراجه، يجب أن تُهمل وتُهجر أو يسكنها المتوحشون فقط. فعندما ينصبّ العمل البشري لتأمين الضروريات فقط، فإن هذا حريٌّ بالشعوب البربرية وحدها، حيث ينعدم النظام المدنيفي تلك البقاع. أما الأماكن التي يكون فيها الحصاد متوسط الحجم، مقارنة بالجهود المبذولة لاستخراجه، فهي مناسبة للشعوب الحرة. وإذا ما جئنا إلى الأراضي الخصبة، التي توفر محاصيل كبيرة مع القليل من العمالة، هنا نكون بحاجة إلى نظام ملكي، تمتص فيه رفاهية الحاكم ما يفيض عن رعاياه، فمن الأفضل أن تمتص الحكومة هذا الفائض على أن يهدره الشعب»(١٠).

تقدم المؤلفة إحاطة بالطعام باعتباره سمة تُميز الأنا عن الآخر والقريب عن الغريب. إن طعامنا مدعاة لفخرنا بينما طعام الآخر مُقزز، على الرغم من حقيقة أن الذوق أمر نسبي للغاية. يؤكد الفيلسوف إيمانويل كانط أن الذوق لا يعتمد على العقل بل على ما يستثيره من مشاعر السعادة والرضا أو الاستياء، مما يجعله مفهومًا ذاتيًا بحتًا. مع ذلك، فإن الذوق حالة حقيقة وليست جمالية وحسب، وهو شرط أصلي ورئيسي لتحديد طعم الطعام. وليس من قبيل المصادفة أن التفضيلات الغذائية للشعوب غالبًا ما تستخدم للسخرية. ففي روسيا، مثلا، يُطلق على الإيطاليين اسم المعكرونة، كما يُشار إلى الفرنسيين بصفتهم آكلي الضفادع. وعليه يُصبح بالإمكان إنشاء خارطة في هذا الشأن تشمل شعوب الأرض كافة، حيث يُعيِّر هذا الشعبُ غيرَه من الشعوب بالطبق الذي لا يستسيغه.

مع ذلك، وعلى الرغم من الرفض الجزئي لعادات الأكل لدى الآخرين، فقد تبين أن الحُلم بمصدر لا ينضب للطعام شيءٌ مشتركٌ بين البشرية، فنجده في قصص ألف ليلة وليلة مجسدا في كيس سحري يتلقاه صيادٌ فقيرٌ من شخص مغربيّ غامض، حيث يخرج الطعام من الكيس إلى ما لا نهاية. هذا الكيسُ نفسه لا يختلف عن الحلة الأيرلندية السحرية أو مفرش الطاولة الروسي الذي تظهر عليه أصنافُ الأطعمة من تلقاء نفسها. كل هذا منبته خوف الإنسان من الجوع وذلك بصرف النظر عن ذائقة المرء.

أما بالنسبة للجوع وتهديداته، فإنه، وبناء على تاريخ أنظمة الأغذية التي تعرضها الباحثة، لم يظهر مع الخليقة مباشرة ولم تعرفه المجتمعات البدائية. «مرّت عشرات، بل مئات الآلاف من السنين حتى بدأ الإنسان بمزاولة الطهي النظامي، فقلل من الصيد وأكثر من قطف الثمار وتلقى أولى مهارات تحضير الطعام. لقد مرت آلاف السنين حتى أتقن فن إنتاج طعامه وتوصل إلى تذوق المنتجات الجديدة مثل الحبوب والخبز والحليب واللحوم المسلوقة (وليس المقلية). كما انقضت قرون قبل أن تتنوع أذواقه ويصبح مؤهلا للتحدث عن أطباقه المحلية الخاصة»(٢٤).

تسمي المؤلفة الفترة الواقعة بين الأربعين والعشرة آلاف سنة قبل الميلاد، بداية التاريخ البشري في تذوق الطعام. ومن بين أهم أحداث هذه الفترة «اختراع» النار وإتقان مهارات الطبخ ومعالجة الطعام حسب

الاحتياجات والذوق وابتكار طرق تخزين الأغذية. خلال هذه الفترة تم وضع أساسيات السلوك الاجتماعي المرتبط بتوفير الطعام وتحضيره وتناوله، إلى جانب أثر ذلك على طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة والمجتمع ككل وما ينتجه من علاقات بينية كمعاملة الضيف. كما أصبح الحصول على الطعام وتوزيعه أساسا للعديد من التقاليد القديمة والطقوس والمعتقدات القومية.

نشوء الزراعة وتطورها هو المرحلة الثانية التي تحددها الباحثة، والتي رافقت ظهور الحضارات الأولى وذلك في الفترة من العاشر إلى الألف الأول قبل الميلاد: «ظهرت منتجات غذائية جديدة تمامًا، مثل الألبان كمنتج ثانوي لتربية الحيوانات. وقد تطلب الاعتماد على الحبوب إضافات جديدة مثل الملح والمخمرات. لقد تعلم الإنسان أكثر عمليات المعالجة الغذائية تعقيدا وذلك حين حوّل الحبوب إلى دقيق، كما انطلقت عملية التخصص في الطعام، وبدأت الأقوام في اختيار الصالح لها، ليس وفقا للظروف البيئية وحسب، ولكن أيضًا باعتماد الخصائص الثقافية: النبيذ والخبز الخالي من الخميرة والحامض ولحم الضأن والخنزير.

تلاحظ المؤلفة أن في هذه الفترة، وتحت تأثير الأنواع الجديدة من الغذاء، تغير الإنسان بيولوجيًا واجتماعيًا. لقد أصبح الغذاء مقياسًا للثروة والوضع الاجتماعي. وغدت الطقوس والمعتقدات المرتبطة بالإنتاج والاستهلاك أكثر تعقيدًا، كما تم تقسيم الطعام إلى نوع يخص المناسبات وآخر للمعيش اليومي. وهكذا قَسّم الطعامُ المجتمعَ إلى غني وفقير وتسبب في إخلال المساواة بين الجنسين وأصبح مصدرًا للإثراء وسببًا للحروب كما مَوْضَع الآلهة القديمة في علاقتها بإنتاج الغذاء.

في هذه اللحظة التاريخية اشتد الجوع الذي صاحب البشرية حتى العصور الوسطى وصولا إلى الزمن الراهن: «عرفت البشرية ظواهر كالمجاعة الجماعية نتيجة للانتقال إلى تخصيص الزراعة والغذاء. لقد تسببت الكوارث الطبيعية وغيرها إلى فقدان المحاصيل، وحصدَ الموتُ أرواح أولئك الذين اعتادوا على نوع معين من الطعام. فليس من قبيل المصادفة أن تضرب المجاعةُ الناسَ حين تموت محاصيل حبوبهم وينعدم خبزهم، وذلك برغم توفر الطعام حولهم كالحيوانات والطيور والأعشاب والجذور وكل ما كان يشكل طعامًا للبدائيين».

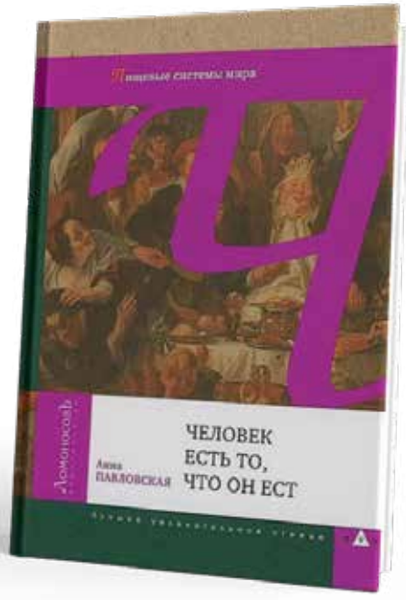

تولي الكاتبة اهتماماً خاصًا بالثقافة اليونانية الرومانية في العصور القديمة، الثقافة التي أرست نوعًا من تقاليد الطعام للأوروبيين. لقد حظيَ الطعامُ في هذه الثقافة، سواء في تكوينه أو تحضيره أو طريقة استهلاكه، بجميع الطقوس التي يمكن اتباعها فيه كالزهد والبساطة والوفرة والفوائد الصحية والأضرار الناجمة والتعقيد، فبلغ قمّة الرقيّ في فترة ما وانحطّ إلى القاع في لحظة تاريخية أخرى.

أما بالنسبة للعصر الحديث، وبالتحديد منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى اليوم، فإن الثورية قد طبعت ميسمها على العديد من مجالات الحياة. هناك - بادئ ذي بدء - التطور السريع للمعرفة العلمية، بما فيها علم وظائف الأعضاء والتركيب الكيميائي للغذاء والاهتمام بدراسة قيمة الطاقة والتغذية السليمة. ثانياً، يؤدي هذا التقدم العلمي والتكنولوجي وتطور الاقتصاد العالمي إلى زيادة غير مسبوقة في إنتاج الغذاء بَلْهَ ظهور الطعام الصناعي. إنه عصر الوفرة وإن لم تكن لسكان الكوكب بالتساوي. هناك أيضا مسألة التهجين التي انتهكت المبادئ التقليدية لإنتاج الغذاء واستهلاكه. إذن فهناك عملية متسارعة للعولمة وتوحيد التغذية من شأنها أن تطغى على الأطعمة الوطنية.

اعتمدت المؤلفة على الكثير من مذكرات الرحالة، لا سيما في الجزء المتعلق بطقوس الأكل، فهناك مثلا وصف الساحل الشرقي للهند لماركو بولو يشير فيه إلى أن «لديهم عادة مختلفة، فالملك وأمراؤه وجميع رعاياه يجلسون على الأرض. وإن سألتهم عن عدم اختيارهم لمكان أرفع لجلوسهم، يخبرونك أن الجلوس على الأرض أكبر شرفا؛ لأنا خرجنا منها وإليها نؤوب ولن يجرؤ أحد على احتقارها»(٢٦). وهنا تذكر المؤلفة أن الإسلام أوصى الناس بهذا النوع من آداب الطعام.

تسوق الباحثة مذكرات الكاتب الروسي الكلاسيكي أيفان جونشاروف الذي زار اليابان في منتصف القرن التاسع عشر. لقد أمضى وفريقه عدة أسابيع للوصول إلى صيغة توافقية من أجل تنظيم حفل لاستقبال الضباط الروس من قِبل رئيس مدينة ناغازاكي. يقول الكاتب: «احتل ترتيب المقاعد مكانًا مهمًا في المفاوضات، فاقترح اليابانيون الجلوس وفق طريقتهم الخاصة، أي على الأرض وباقتعاد الكعوب، أي أن تثني ركبتيك على الأرض وتجلس على كعبيك - هذا ما يعنيه الجلوس باليابانية! جرّبه وسترى أنك لن تتحمل أكثر من خمس دقائق بينما يجلس اليابانيون عدة ساعات. صارحناهم بأننا نعجز عن الجلوس هكذا، وسألناهم إن كان الحاكم سيقبل الجلوس على الكراسي كما نفعل؟ اليابانيون أيضًا لا يعرفون شيئا عن طريقتنا في الجلوس، مع ذلك، ألا يبدو أن طريقتنا أسهل لهم؟ كلا! فأرجلهم ستنتفخ لو فعلوا». (٢٧)

ختاما يجدر التوقف عند المصادر العربية التي استشهدت بها المؤلفة فتقول: «إن العصر الذهبي للإسلام، الذي تزامن مع العصور الوسطى القاتمة في أوروبا، أعطى البشرية أدبًا واسعًا يحتل فيه أدب الطعام مكانة جيدة تتعدى ما هي عليه في الثقافات الأخرى». وقد استخدمت في دراستها مصادر عربية لا تقل حجمًا عن المصادر الأوروبية والروسية، منها الأحاديث النبوية وكتابات ابن بطوطة وأحمد بن فضلان والمؤرخ ابن قتيبة ومسلم ابن الحجاج وغيرهم. كل هذا عزز من موضوعية الكتاب وأبعده عن المركزية الأوروبية.

الكتاب: الإنسان هو ما يأكله... نظم التغذية العالمية

المؤلف: آنا بافلوفسكايا

دار الإصدار: لومونوسوف/موسكو/2022

اللغة: الروسية

عدد الصفحات: 288

* أكاديمية ومستعربة روسية

التاريخ السياسي لولاية كيرالا

آر. كيه. بيجو راج

فيلابولاتو عبد الكبير*

إنه كتاب ضخم بحوالي ألف صفحة، أو بالضبط 990 صفحة، ولكن بالرغم من ذلك فإن القارئ لا يستشعر الكثير من الثقل. وقد يَحِلّ في المستقبل مرجعًا هامًا في أرفف المكتبات لطلاب العلوم السياسية والباحثين في تاريخ الأوضاع السياسية في ولاية كيرالا منذ تشكيلها بعد استقلال الهند من الاستعمار البريطاني، ويمتد هذا التاريخ إلى عصرنا الحاضر شاملا وكاملا يغطي جميع الأحداث الهامة.

وأثناء رحلتنا مع الكتاب نستعذب أسلوب الكاتب السلس، حكائي الطبع، ونستشعر كأننا نجلس أمامه. وهو صحفي بارع يحكي لنا الأوضاع السياسية في الولاية بالتفصيل. وإعداد كتاب بهذا الحجم ونشره في ظروف موبوءة بداء الكوفيد التي ترتب عليه ركود شديد في سوق الكتب يُعدّان مغامرة من جانب الكاتب والناشر سويا. لا تتقدم مكتبة إلّا مؤسسة DC لنشر كتاب مثله في ظروف حرجة مثلها. وهذا يدل على اهتمام هذه المؤسسة بتقديم خدمات في مجال نشر العلوم النافعة. قبل تصفح الكتاب قد يطيب لنا الاطلاع على خلفية هذه المؤسسة. إن «دي سي» ليست مجرد حرفين، وهي الآن من أكبر دور النشر في كيرالا. وهذان الحرفان اختصار اسم رجل له مكانة بارزة في تاريخ نشر الكتب في كيرالا، وكان لمساعيه دور مشكور في استثناء الكتب المطبوعة من ضريبة المبيعات. هذا هو «دومانيك تشاكو»(١٩١٤ - ١٩٩٩)، أول من أنشأ جمعية تعاونية للكُتّاب حيث جمع رأسمالها منهم لإيداعه في نشر كتبهم يستهدف إنقاذهم من استغلال الناشرين في القطاع الخاص. كانت كبرى دور النشر في آسيا تتميز بتخصيص مكافأة للمؤلفين تبلغ ٤٠٪ من قيمة كتبهم الاسمية. تطورت هذه الجمعية بأصول ممتلكات مكونة من فروع في كل عواصم المحافظات في الولاية خلال زمن قصير. وبعد تحقق نجاح باهر نشبت في مرحلة لاحقة اختلافات بين أعضاء الجمعية مما اضطر دومانيك تشاكو للتخلي عن منصبه الرسمي في الجمعية. كان هو روح الجمعية، وكانت نتيجة غيابه تلاشي بريق هذه الجمعية النشطة. أما هو فبدأ مشروعا خاصا له برأسمال خبراته في مجال صناعة الكتب وجعل الحرفين الإنجليزيين في اسمه أيقونة لمشروعه الجديد. هكذا أتت دار نشر «دي سي» في حيز الوجود وصارت رقماً لامعًا في إنتاج الكتب خلال فترة قصيرة. ولها الآن فروع في جميع المدن الكبرى في كيرالا. تَنشر كتبا أكاديمية قيمة وإبداعات رائعة وترجمة مختارات من الأدب الكلاسيكي العالمي. السيد «رافي» بن دومانيك تشاكو هو الذي يتولى أمور هذه الدار الآن. ويجدر الذكر هنا أن دي سي هي التي نشرت في لغة «مالايالام» ترجمة «مختارات من الشعر العماني الحديث » التي اختارها الشاعر العماني الدكتور هلال الحجري. وكتاب « التاريخ السياسي لكيرالا» ريشة ذهبية جديدة على تاج هذه الدار.

وقد سبق لمؤلف الكتاب «بيجو راج» نشر بحوث وتحقيقات عن مواضيع مثيرة، منها تحقيقات صحفية عن الكفاح المسلح الذي قام به عمال في منطقة «فايالار» بقيادة الحزب الشيوعي قبل استقلال البلاد، وكُتُبٌ تتناول موضوعات مثل ثورة مليبار بقيادة المسلمين ضد الاستعمار البريطاني والعمليات المسلحة التي قام بها الشيوعيون المتشددون المعروفون باسم «نكسال باري» وسيرة حياة أمبيدكار، باني الدستور الهندي وقائد المنبوذين في الهند. يقول المؤلف إنه يُحبّ أن يرى سرديته أقرب إلى دفتر لصحفي منه إلى سجل تاريخي. دفتر يحتوي معلومات يمكن طلاب العلوم السياسية من خلالها مراجعة الأحداث السياسية التي تطورت في الماضي والتأكد من صحتها. ويعترف بأن هذا الكتاب ليس محاولة ذات طابع سياسي اجتماعي(Socio Politics) في معنى الكلمة ولا تأليفا يستهدف الكشف عن الحالات الاقتصادية السياسية(Political Economy) في كيرالا، بل محاولة لإلقاء الضوء على جميع الأحزاب السياسية الرئيسة في الولاية، حالاتها ومآلاتها بما في ذلك من صراعاتها الداخلية ومعارك بعضها مع بعض. وهي ثمرة جهد جهيد امتد إلى خمس سنوات. ويؤكد المؤلف أنه قد سعى ليغطي جميع الأحداث الهامة قدر المستطاع. حتى أن الأحزاب التي قد لايعرفها الجيل الجديد ورد ذكرها تفصيلا في الكتاب، منها حزب كيرالا الاشتراكي الذي قام بتشكيله «متى مانجوران» بهدف إقامة جمهورية في كيرالا ذات سيادة مستقلة. وكان مانجوران قد ألّف كتابا حول هذا الموضوع. لو كان هذا في عهدنا الحاضر لكان يُعدّ خيانة عظمى. لم يدخر الكاتب وسعا في الاستفادة من المستندات الرسمية وغير الرسمية مثل أرشيف المجلس التشريعي وأضابير الصحف والمجلات وتقارير اللجان الرسمية ومذكرات السياسيين. كل فصول الكتاب يمكن تطويرها كتبا مستقلة. ولكن الكاتب يقول إنه قد حذف كما هائلا من أجزاء الكتاب لاقتصار حجمه. بالرغم من ميوله اليسارية في السياسة، قد حافظ على عدم انحياز تام في تحليل الوقائع. ودوره في هذا الشأن يبدو مثل دور عميد الأدب العربي طه حسين حين كتب الجزئين من «الفتنة الكبرى » بنو عثمان وبنو علي» حيث قال إنه لم يكتب هذا الكتاب كمسلم بل كمُؤرخ يسجل الأحداث كما هي ويحللها بدون انحياز إلى أي طرف من الطرفين في تلك الأحداث.

إن كيرالا من أصغر الولايات الهندية تقع في أقصى جنوب البلاد إلا أنَّ شعبها شعب أكبر وعيا سياسيا بالنسبة إلى شعوب أخرى من الولايات. ويدلّ على ذلك أن حزب بهارتيا جناتا المتطرف الهندوسي لم يحصل حتى مقعدٍ واحدٍ في مجلس الشعب في الولاية بينما اكتسح طوفانه معظم الولايات في الانتخابات الماضية. وهي في مستوى عال بموجب مؤشر التنمية عام ٢٠٢٠ - ٢٠٢١. وتوجد في ٩٨,١٪ من البيوت في الولاية مرافق المراحيض، والإلمام بالقراءة والكتابة بين النساء فيها

٩٧,٩٪، وبموجب مؤشر الشؤون العامة الرسمي هي أحسن ولاية في فن الإدارة، وهي الولاية الوحيدة الآن التي يحكمها التحالف اليساري بقيادة الحزب الماركسي، ولكن الحُكم سجال بين هذا التحالف والجبهة الديموقراطية المتحدة بقيادة حزب المؤتمر. وبُعيد استقلال البلاد كان الحزب الشيوعي محظورا بسبب كفاحه المسلح في «تيلونغانا» بقيادة "بي. سوندارايا". وكان كثير من نشطاء الحزب اختفوا من أعين الناس واختاروا العمل سِرًّيا. وقد تعرضوا لإجراءات قمعية واضطهاد من قبل الحكومة المركزية. ولكن سرعان ما اكتشف الحزب خطأ هذه الإستراتيجية وتركها. وفي الانتخابات التي جرت في الولاية عام ١٩٥٧ فاز الحزب الشيوعي بأغلبية كاسحة. كان هذا حدثا تاريخيا، لأن حزبا شيوعيا في العالم كان لأول مرة يصل إلى سدة الحكم عن طريق الانتخابات. (كان الكاتب المصري أنيس منصور آنذاك في زيارة إلى «تيروفانانتابورام» عاصمة الولاية. ومن الطبيعي أن يثير الحدث في نفس أنيس رغبة في معرفة التيارات السياسية والحالات الاجتماعية السائدة في كيرالا. وقد سجل مشاهداته في كتابه الموسوم بـ» ٢٠٠ يوم حول العالم». ولكن الحزب لم يقدر له البقاء في الحكم مدته المحددة. اندلعت ضد الحكومة الشيوعية مظاهرات عارمة بقيادة الجبهة المتحدة الثلاثية المكونة من حزب المؤتمر والحزب الاشتراكي ورابطة المسلمين، فتداخلت الحكومة المركزية في شؤون الولاية الداخلية حتى عزلتْ تلك الحكومة

المنتخبة. وكان ذلك وصمة عار على جبين جوهر لال نهرو الديموقراطي رئيس الوزراء آنذاك. ظهر فيما بعد أن أيادٍ خفية من وكالة المخابرات المركزية كانت قد لعبت دورا وراء تلك الاحتجاجات. كانت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والسوفييت في أوجها في ذلك الزمن حيث لا تحب واشنطن أن يأتي حزب شيوعي على سدة الحكم في أي بلد في العالم. كانت تحاول قلب الحكومات اليسارية في مختلف أنحاء العالم. ولم تتردد في استخدام أي وسيلة من الوسائل لذلك كما ورد في كتاب مايلز كوبلاند (Miles Copeland) « لعبة الأمم»(Game of the Nations). وقد أشار غالبريت السفير الأمريكي آنذاك إلى بعض هذه الأحداث في مذكراته. يرى المؤلف أن الحكومة الشيوعية إبان حكمها كانت تنتهج نفس السياسة القمعية التي تنتهجها الأحزاب الأخرى في شأن التظاهرات الاحتجاجية وكان ذلك أيضًا من العوامل التي أدت إلى سقوطها.

التطورات السياسية في الولاية ورد ذكرها في الكتاب على تسلسل زمني مقسمةً على ثلاثة أقسام. والقسم الأول يتضمن الأحداث منذ تشكيل الولاية حتى إعلان حالة الطوارئ في عهد رئيسة الوزراء الراحلة إنديرا غاندي. وهذه المرحلة تبدأ من عام ١٩٥٦ وتنتهي في عام ١٩٧٥. وقد وردت في هذا القسم عنواين عن تشكيل ولاية كيرالا بانفصالها من ولاية «مدراس» (تامل نادو حاليا)، وتشكيل حكومة الحزب الشيوعي بعد حصوله على الأغلبية في أول الانتخابات، وفض تلك الحكومة المنتخبة من قبل الحكومة المركزية إثر الاضطرابات العارمة، والانشقاق في الحزب الشيوعي بشقين أحدهما موالٍ لخط السوفيات والثاني لخط الصين (المعروف فيما بعد باسم الحزب الشيوعي الماركسي). والانشقاق داخل حزب المؤتمر أيضا حدث في هذه الفترة مسببا صعود حزب محلي باسم حزب مؤتمر كيرالا، وفي القسم ذاته تقرأ عن عودة الحزب الشيوعي في دوره الثاني بالتحالف مع سبعة أحزاب بما فيها رابطة المسلمين، وعن تشكيل محافظة جديدة باسم «مالابولرام» يكتظ فيها المسلمون بالرغم من مخالفة الحزب السياسي الهندوسي «جانا سانغهام» (حاليا «بهاراتيبا جناتا»)، وصعود حزب متطرف من الحزب الشيوعي باسم «ناكسال فادي» الذي ينتهج خط الثورة المسلحة والهجوم على عدد من مراكز الشرطة والإجراءات القمعية البوليسية ضدهم، وعن تشكيل حكومة بائتلاف حزب المؤتمر مع أحد شقي الحزب الشيوعي ورابطة المسلمين والحزب الاشتراكي الثوري وحزب مؤتمر كيرالا وغيرها من الأحزاب الصغيرة، وإخراج بعض القياديين مثل «آريان» و«أم. ي. راجهافان» من الحزب الشيوعي الماركسي، والانشقاق داخل حزب رابطة المسلمين، وتشريع القانون لتحديد ملكية الأراضي وغيرها. ويشمل هذا القسم ٣٨ فصلا.

كانت حالة الطوارئ التي أعلنتها إنديرا غاندي حقبةً مظلمةً في تاريخ الهند بعد الاستقلال. ألغيَتْ فيها الحقوق الإنسانية والحقوق الأساسية الدستورية، واعتُقل قياديو أحزاب المعارضة على نطاق واسع، وتعطلت أنشطة المعارضة تمامًا،

وكُمِّمت أفواه الجرائد بحيث يصبح الجمهور محرومين مما يجري داخل البلاد. يبدأ القسم الثاني تحت عنوان عريض - انهيار الديموقراطية واستعادتها» يبحث فيه الكاتب هذا الموضوع بالإضافة إلى ٣٥ موضوعا آخر. هذه الحقبة التي تبدأ من ١٩٧٥ وتنتهي عام ١٩٩٠ تعد مرحلة استعادة الديموقراطية وبنائها من جديد. يكتب المؤلف: قبل أن يبلغ عمر الولاية عشرين سنة اختُطفت الحقوق الديموقراطية وظلت في تلك الحالة قرابة ٢١ شهرا. وهذه الانتهاكات لم تكن مقتصرة داخل الولاية فقط بل عمّت جميع الولايات. ظل مجلس التشريع مفوقودة حيويته طوال هذه الفترة. إذا فحصنا المستندات المطبوعة من إجراءات المجلس التي تبلغ ٢٥٤٠ صفحة منذ إعلان حالة الطوارئ حتى سحبها في ٢٧ مارس ١٩٧٧ سييأس كليةً من يتمتع بشيء من الشعور الديموقراطي. وهذه المستندات تُمثِّل عارا كبيرا على أحزاب المعارضة بما فيها الحزب الشيوعي الماركسي». وفي هذه الفترة حصلت رابطة المسلمين على منصب رئاسة الوزراء في كيرالا لأول مرة في تاريخها. ومن الأحداث الهامة في هذه الفترة تدمير المسجد البابري. ومن الجدير بالذكر أن ولاية كيرالا كانت استثناء من الاضطرابات الطائفية الناجمة عن هذه الكارثة والتي اجتاحت أنحاء الهند. غير أن رابطة المسلمين لم تنج من تداعياتها، وكانت حينها حليفة لحكومة الجبهة المتحدة الديموقراطية التي يقودها حزب المؤتمر، فتزايدت الضغوط عليها للانسحاب من مجلس الوزراء احتجاجا ضد الإهمال الشديد في شأن الدفاع عن المسجد من جانب الحكومة المركزية التي يقودها حزب المؤتمر. كانت النتيجة الانشقاق داخل حزب الرابطة مما تشكَّل حزب جديد بقيادة رئيسها لعموم الهند إبراهيم سليمان سيت، فتحالف هذا الشق مع الحزب الشيوعي الماركسي فيما بعد.

أمّا القسم الثالث من ١٩٩٠ إلى ٢٠٢١ فيسجل مرحلةَ التغييرات الجذرية التي تعرضتْ لها الولاية حيث هيمنت على سياسات الحكومات فيها، يمينية كانت أو يسارية، آثار العولمة ونفوذ الشركات متعددة الجنسيات. بانهيار الكتلة الشيوعية العالمية بدت تتبخر دوغمائية الحزب الشيوعي في كيرالا كما تم تخفيف بالغ في مواقفها المتزمتة حتى أصبح مجرد حزب سياسي مثل سائر الأحزاب السياسية التي تتكالب على السلطة. شهدت هذه الحقبة انهيار القيم والمبادئ في جميع أنحاء الحياة في مجتمع كيرالا كما شهدت عدة نضالات من الطبقات المهمشة للحصول على حقوقها الأساسية مثل حقوق ملكية الأراضي والعدد المخصص في الوظائف الحكومية. وشهدت أيضا استقواء الحركات البيئية والكفاح ضد الشركات العالمية مثل كوكو كولا. وفي هذه الحقبة اضطر الوزير «كونجي علي كوتي» أحد القياديين البارزين في حزب رابطة المسلمين للاستقالة من مجلس الوزراء إثر فضيحة جنسية كما تمت مقاضاة على «بيناراي فيجايان» أحد القياديين البارزين في الحزب الماركسي ورئيس الوزراء في الولاية حاليا فيما يتعلق بتهمة رشوة تسلمها من شركة «لافلين» الكندية. وينتهي الكتاب بفصل يدور حول الدورة الثانية من حكم التحالف اليساري بقيادة الحزب الماركسي الذي انضم إليه شق من حزب مؤتمر كيرالا بعد أن ترك الجبهة الديموقراطية. حصل التحالف مرة أخرى على أغلبية كاسحة في الانتخابات التي جرت عام ٢٠٢١ أبريل. وكان من العوامل الرئيسة في فوزه تأييد حزب مؤتمر كيرالا الذي انتقل إلى التحالف اليساري من الجبهة الديموقراطية والذي يتمتع بقواعد قوية من المسيحيين والكنائس.

القسم الأول من الكتاب يغطي فترة ٢١ سنة من التطورات بينما القسم الثاني يغطي فترة ١٣ سنة والقسم الثالث ٣١ سنة من أهم الأحداث السياسية. ولم يسقط من قلم الكاتب حدث ذو صلة سياسية طفيفة في هذا الشأن، حتى نرى أنه قد ورد في الكتاب، على سبيل المثال، ذكر الانشقاق داخل جمعية العلماء لعموم كيرالا التي كانت تتواكب مع خط رابطة المسلمين تاريخيا في الشؤون السياسية. الشطر المنشق من هذه الجمعية بقيادة الشيخ أبوبكر كانتابورام الذي نصب نفسه مفتي الهند بنفسه اتخذ سياسة موالية للحزب الماركسي فيما بعد لمصالح ذاتية. لا تسمح المساحة بإلقاء الضوء على كل المواضيع داخل الكتاب ولو أن جميعها مهمة جدا.

الكتاب: التاريخ السياسي لولاية كيرالا

المؤلف: بيجو راج

الصفحات: 990

اللغة: مالايالام

سنة النشر: 2021

الناشر: DC Books، كوتايام

* مستعرب هندي

محكمة التاريخ، محاكمة التزوير

باولو ميبلي

فاتنة نوفل *

محكمة التاريخ -محاكمة التزوير هوأحدث كتاب لِباولو ميبلي، المؤرخ والصحفي، يُحَقّق ويُناقِش نتائج الأحداث التي غالبًا ما أعطت أبطال الرواية عبر القرون حُكْمًا متسرعًا وافتقرت في بعض الحالات إلى جميع الأدلة التي يجب أن تأخذها المحكمة في الاعتبار ليقودنا إلى مراجعة الحقائق في ضوء مختلف. المسار الذي اتبعه الكاتب يعتمد على عاملين أولهما: عزل ووضع تحت العدسة مجموعة من التفاصيل التي تم إغفالها بسبب السطحية أو بدافع التحيز لتحقيق سابق في الأحداث والسلوكيات؛ ما تسبب بإصدار أحكام غير كاملة أو مشوهة. ثانيهما: من خلال التركيز على تفصيل واحد وإمكانية إجراء تحليل جديد يمكن أن يؤدي إلى «النظر من زوايا أخرى» وإعادة النظر فيها.

هناك عدد لا يُحْصى من مؤرخي اليوم الذين قاموا بإعادة قراءة للتاريخ، بعضهم معروف بالفعل لعامة الناس والبعض الآخر أقل شهرة؛ مثل فرانشيسكو بينينيو الذي يُوَضّح في كتابه طائفة La mala ويهدف إلى معالجة قضية الجريمة المنظمة الإيطالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بطريقة جديدة وذلك باستخدام مصطلح «الطبقات الخطيرة» وكيف أن الحكومات الإيطالية «كانت لها علاقات مع الجريمة المنظمة منذ تأسيس الدولة الإيطالية الموحدة».

يتكون التاريخ بالتحديد من هذا: في البحث عن كل نوع من الأدلة أو الدليل الذي يؤدي إلى مراجعة الأحكام الصادرة في العصور السابقة، كل ذلك بدأ عندما غضب فولتير وقام بنشر وثيقة معاهدة التسامح في قضية محاكمة لأب وإعدامه إثر حادثة وفاة ابنه مارك أنطوان كالاس، والتي تحولت فيما بعد من قضية قتل إلى واقعة انتحار، تمَّ فيها إصدار الحكم على الأب البريء وانتهت المحاكمة بإعدام والده جان كالاس بناءً على طلب من ملك فرنسا لويس الخامس عشر.

حدثت الواقعة في مدينة تولوز الفرنسية، في تاريخ ١٣ تشرين أول/ أكتوبر ١٧٦١. في نهاية وجبة الطعام مع عائلته، غادر مارك أنطوان كالاس المنزل على عَجَل وبعد لحظات قليلة، انتحر، وأثبتت الكنيسة أن هذا الشاب كان على وشك التحول إلى الديانة الكاثوليكية وأن والده قتله لمنع هذه «الخيانة»، ليكون ذلك الحدث المأساوي عملية مُصمّمة لصنع التاريخ. في البداية حاولت عائلة مارك أنطوان إخفاء حقيقة أن الشاب قد انتحر ونظمت الكنيسة جنازة دينية للشاب«شهيد الإيمان»؛ لأنَّ الانتحار كان يُعْتَبر جريمة خطيرة للغاية في ذلك الوقت، يُعاقَب بِجَّر الجثة ووجهها للأسفل في شوارع المدينة ومصادرة ممتلكات العائلة بأكملها، لكن أطروحة التسامح الشهيرة أزعجت ثقافة ذلك العصر وأعادت الشرف إلى ذكرى الأب الذي تم إعدامه ورَدَّ الاعتبار للأسرة في العام التالي لإصدار الحُكم، لتصبح هذه الحادثة رمزًا للمراجعة الممكنة لحقائق الماضي.

هناك كذلك أسماء لطالما اسْتُحْضرت لسبب ما في معاني أحادية الاتجاه مثل اسم «واترلو» تلك القرية الصغيرة في الريف بجنوب بروكسل للإشارة إلى انهيار نابوليون؛ لذلك فإن واترلو تعني الهزيمة الكاملة والنهائية للإمبراطور والتي بقيت لأكثر من قرنين من الزمان مرادفة لهزيمة نابليون بونابرت والتي من وجهة نظر السير آرثر ويليسلي، دوق ويلينجتون كانت المعركة الشرسة التي قادها التحالف الأنجلو روسي النمساوي السابع وقاتل في ١٨ حزيران/ يونيو ١٨١٥ ضد جيش الإمبراطور الفرنسي وانتهت بانتصار مأمول ومذهل وبشكل قاطع (بفضل التدخل الحاسم للبروسيين). نتيجة تلك المعركة التي تسببت في مقتل خمسين ألفًا خلال اثنتي عشرة ساعة، كان يجب أن تمحي إلى الأبد ذكرى الإمبراطور الفرنسي، هكذا كان يعتقد البريطانيون الذين توسل إليهم نابليون بنفسه؛ لدرجة أنه لتحقيق ذلك الهدف، تم نفيه إلى جزيرة نائية في منتصف الطريق بين سواحل إفريقيا وأمريكا الجنوبية (سانت هيلانة) ليبقى نابليون هناك ست سنوات إلى أن توفي في ٥ أيار/ مايو ١٨٢١، ربما بسبب تفاقم التهاب الكبد أو بالسُّم حسب البعض، ولكن عندما عاد رفاته إلى باريس عام ١٨٤٠، حصل على انتصار بطل بدلاً من الذهاب إلى غياهب النسيان.

كان نابليون في منفاه قد بنى لنفسه يومًا بعد يوم أسطورته التي يحتفل بها الشعراء والكُتَّاب لتكون تلك هي الطريقة التي سيتمكن بها المُدعى عليه نابليون بونابرت من مغادرة قاعة المحكمة المثالية للتاريخ ولم يعد مهزومًا إلى الأبد، كان ذلك انتصاره الحقيقي الأخير والنهائي بخلاف واترلو.

في حالة فيدل كاسترو الزعيم الشيوعي العظيم، ليس الهدف من تحليل تلك الشخصية المعقدة، هو التقليل من الأخطاء التي كان يقوم بها كديكتاتور، لكن هي محاولة فهم أي نوع من الديكتاتوريين كان؛ لأن بعض الديكتاتوريين يتركون علامة من نوع ما في التاريخ، والبعض الآخر يترك علامة مختلفة تمامًا.

كوبا فيها قمع عنيف جدا وأناس يفرون عن طريق البحر، لكن لماذا بقي كاسترو شخصية مختلفة في التاريخ وفي الذاكرة؟ عندما تراه هناك في استقبال البابا يوحنا بولس الثاني في زيارته لكوبا في ٢١ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٨ في حفلة تشريف كاملة، خلع فيها الرئيس الزي العسكري وارتدى الجاكيت وربطة العنق الأكثر أناقة والتي كانت ردا للبابا للزيارة التي قام بها فيدل كاسترو قبل عامين خلال الاجتماع العالمي لمنظمة الأغذية والزراعة في روما حيث قام المحامي أنييلي مالك شركة فيات بتنظيم عشاء له، وكان هناك الكثير من الشخصيات المرموقة والجميع سعداء بالتواجد معه. إذن، هو شخصية مختلفة عن كاسترو الحقيقي، الذي سعى في تدريبه وفي علاقته بأسرته وعائلته وعلاقته مع محاوريه بأن يترك وراءه دور العقيد، كضابط استولى على السلطة. باختصار، قصة رائعة للغاية تقودنا إلى رؤيته في ضوء آخر كان مجهولا لدينا.

هناك الاتهام الموجه إلى الملك فيتوريو إيمانويلي الثالث الذي حكم إيطاليا من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٤٦، أحبط الملك خلالها العديد من المؤامرات للتغلب على بينيتو موسوليني (سياسيًا) منذ الثلاثينيات، داخل قصره وخارجه وبعدها تحرك بتردد في لحظة إقالة الدوق. وهو تردد كان مصدرا لاضطراب غير متوقع تمامًا -ترك إيطاليا في فترة طويلة للغاية في حالة من الغموض والفوضى (من ٢٥ تموز/يوليو إلى ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٣)، ما مَهّد إلى تهيئة الظروف الملائمة للحرب الأهلية اللاحقة في نهاية المطاف. تم خلع بينيتو موسوليني بعد اجتماع المجلس الأكبر في ٢٤-٢٥ تموز/يوليو ١٩٤٣ لكن لا تزال «الثقوب السوداء» المرتبطة بهذا الحدث كثيرة .

محاكمة تاريخية أخرى للولايات المتحدة على الطريقة التي عومِلَ بها الأسرى الإيطاليون خلال الحرب العالمية الثانية، إذ تبين أن مقاتلي ألمانيا النازية كانوا يُعامَلون بطريقة أفضل منهم بعد أسرهم ونقلهم إلى أمريكا، خاصة إذا قمنا بالتحقيق في أسباب حدوث ذلك. في ١٣ آيار/ مايو ١٩٤٣، استسلمت الجيوش النازية والفاشية المقاتلة في شمال إفريقيا للأنجلو أميركيين، حيث وجد الحلفاء -الذين خططوا للهبوط في صقلية في غضون أسابيع قليلة- وجدوا أنفسهم فجأة مضطرين لمواجهة مشكلة هائلة: استسلم مائتان وخمسون ألف جندي إيطالي وألماني لهم بأذرع مرفوعة، ومنذ تلك اللحظة أصبح من الضروري مراقبتهم وإطعامهم والعناية بهم. من الواضح أن الإمدادات لإطعام تلك المجموعة من الناس كانت غير كافية وبدأت الملاريا تنتشر بين السجناء. أدرك الجنرال دوايت أيزنهاور، القائد العام للقوات المتحالفة في البحر الأبيض المتوسط على الفور أن قواته ستصاب بالشلل إذ كان عليها التعامل مع هذا العدد الهائل من الناس وطلب من بلده، الولايات المتحدة أن تتولى المسؤولية جزئيًا.

بعد ذلك تم نقلهم جزئيًا إلى منطقتي وهران والدار البيضاء ليواصلوا السفر إلى الولايات المتحدة. عملية نقل لأكثر من خمسين ألف شخص من السجناء إلى معسكرات مختلفة، كتب الكثير منهم في مذكراتهم عن «الأيام الحزينة التي أعقبت الأسر والتي اتسمت بالجوع والحرارة وانتشار الطفيليات، وأيضًا سوء المعاملة والمضايقات من قبل جيش التحالف وخاصة الفرنسيين، وأحيانًا من الحشد». بعد ذلك، عندما وصلوا إلى الولايات المتحدة، كانوا مشتتين في معسكرات اعتقال بعيدة عن السواحل، أشهرها معسكر

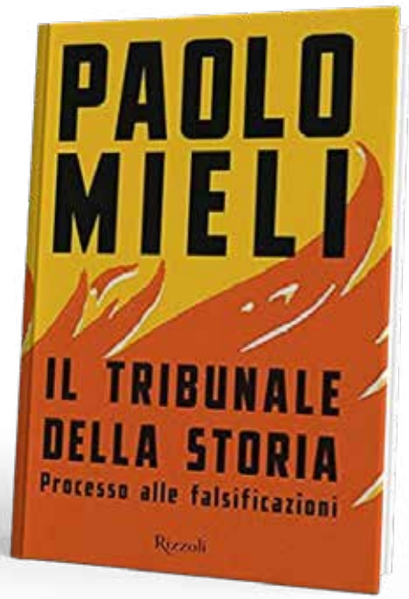

« هيريفورد» في ولاية تكساس الذي أقام فيه الكاتب جوزيبي بيرتو، القاضي والكاتب دانتي ترويزي والصحفي غايتانو توماياتي صاحب كتاب «سجناء في تكساس».

بعد بضعة أشهر من عبور المحيط الأطلسي وفي تشرين أول/أكتوبر ١٩٤٣، منحت الولايات المتحدة الأمريكية إيطاليا فيتوريو إيمانويلي الثالث وضع دول محاربة بعد أن قد عَقَد معها هدنة في ٨ أيلول/ سبتمبر ليدخل بعد أسابيع قليلة في صراع مع ألمانيا هتلر والجمهورية الإيطالية الاشتراكية لموسوليني. منذ تلك اللحظة ساء الوضع في المعسكر لأن الأمريكي بدأ ببرنامج تعاون، يمكن للأسرى الإيطاليين بموجبه إذا تطوعوا للقيام بالعمل الذي تم دعوتهم إليه إلى تحسين معاملتهم والحصول على علاج. رفضت الحكومة الإيطالية برئاسة بييترو بادوليو الموافقة على هذا الاقتراح معتبرة أنه من الأنسب والأكثر كرامة أن يحتفظ الإيطاليون بحقهم كأسرى. واجه هذا الطلب انقسامًا كبيرًا لأن الحكومة منقسمة وفي حالة فوضى، كذلك لم يرغب السجناء في إظهار أنفسهم متعاونين مع العدو خاصة في قطاع الأسلحة التي كانت ستذهب لقصف بلادهم، وآخرون كونهم مناهضين للفاشية، وبأنه من غير الأخلاقي تغيير التحالف في الأوقات الصعبة. في آذار/مارس ١٩٤٦ تم إعادة السجناء إلى وطنهم.

كتاب ميلي هو استطلاع دقيق وممتع لما هو متعارف عليه بالحالة الطبيعية للتأريخ، فهو مراجعة للسيرة الشخصية في ال ٢٧ فصلاً للكتاب، يقدم في كل منها موضوعًا تاريخيًا اعتقدنا أننا عرفنا عنه كل شيء، ليعيد البحث فيه ويقدم للقارئ أحدث الدراسات التي جددت تفسيره من أجل الحذف وإعادة الكتابة والمراجعة وإعادة النظر في أحداث وظواهر التاريخ التي أدت في السنوات الأخيرة إلى مواقف وتصريحات تاريخية: رؤساء الحكومات الذين يعتذرون باسم بلدهم عن الخطأ أو الإغفال للدور الذي لعبته دولهم في أحداث بعيدة أو قريبة؛ لأن العنصر الملتهب الذي أشعل شرارة هذا الكتاب هو الاقتراب من أطروحات النيابة ومرافعات الدفاع واستجواب المتهمين في قاعة المحكمة «محكمة التاريخ» من أجل اكتساب عناصر جديدة من المعرفة والحكم مع الأخذ في عين الاعتبار دائمًا، كما يقول باولو ميلي: «الاعتذارات العلنية لا تعادل الحُكم النهائي لأنهم أقروا بِتَصَوّر مُعدَّل لأحداث الماضي».

يمكن تعريف نهج «محكمة التاريخ» على أنه مراجعة تاريخية مع الحذر من إضفاء هذه التسمية كقيمة سلبية حاول البعض أن يعزوها لسنوات بدافع السطحية أو سوء النية كما لو كانت نوعًا من البدعة التحريفية والتي هي ببساطة بحث مستمر عن الحقيقة تم تجاهلها أو حتى إخفاؤها حتى الآن. إنها بالتأكيد طريقة تزعج أولئك الذين، حتى بين المؤرخين المحترفين الذين يفضلون المضي قدمًا في تصور الأحداث كما هي. ميلي بالتأكيد على الجانب الآخر، الجانب الصحيح، بحكم طبيعته وخلفيته الثقافية فهو ليس من النوع الذي يخيفه ما يسمى بالفكر السائد وهو المطلوب لافتتاح محكمة تاريخية «تجتمع في دورة دائمة» بلا حدود وبدون تحيز.

ومع ذلك، من الجيد معرفة أن الأحكام التاريخية، ليست سوى جزء من عملية «المسيرة الطويلة نحو الحقيقة لا نهائية- تعرف التوقف لمدة قد تكون طويلة، لكنها تبقى مجرد مسألة توقف ثم تستأنف الرحلة ولن تكون هناك محطة نهائية».

العنوان: محكمة التاريخ، محاكمة التزوير
المؤلف: باولو ميلي
دار النشر: ريتسولي
بلد الاصدار: إيطاليا
لغة الكتاب: الإيطالية
تاريخ الاصدار: تشرين أول/أكتوبر 2021
عدد الصفحات: 304

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

أسطورة الذكاء الاصطناعي: لماذا لا يستطيع الحاسوب أن يفكر بطريقتنا

إريك .ج.لارسون

فينان نبيل *

يروج المستقبليون من علماء التكنولوجيا أسطورة عن حتمية وصول الذكاء الاصطناعي لمستوى الذكاء البشري مُستقبلا، أنه سوف يتفوق عليه، ويصبح أكثر موهبة منه، وماهي إلا مسألة وقت فقط. ويزعم البعض منهم أننا شرعنا بالفعل في هذا المسار، بينما يرى إريك لارسون مؤلف كتاب «أسطورة الذكاء الاصطناعي»، أن هذا المسار لا يوجد إلا في مخيلة أصحابه، وأن الخرافة لا تكمن في عدم إمكانية تحقيقه، إنما في كون أن مستقبل الذكاء الاصطناعي مجهول علميًا، وأننا لا نعرف على وجه التحديد إلى أين يتجه مساره؛ فهناك اختلاف جذري بين ذكاء الإنسان والآلة.

بينما يصر المستقبليون على أن تلك الاختلافات مؤقتة، وأن الأنظمة الذكية الأكثر قوة ستمحوها في النهاية، يرى لارسون أن التقديس المفرط «للذكاء الاصطناعي» قد يؤخر التقدم، خاصة عندما يسيئ إلى الذكاء البشري الذي لا يمكن الاستغناء عنه كمورد أساسي في أي تقدم مستقبلي، بل إنه يمنع الابتكار ويشوه قدرتنا على تحقيق القفزات الإبداعية. كشف لارسون أن هناك فجوة شاسعة بين العلم الفعلي الكامن وراء الذكاء الاصطناعي وبين الواقع، فلم توجد آلات ذكية على هذا المستوى، والادعاءات التي يتم الترويج لها ليست سوى أساطير، وما يحدث بالفعل مجرد استفادة بسيطة، وضيقة من أجهزة الكمبيوتر، وسرعتها، وحفظها للكثير من البيانات؛ فنحن لا نحرز تقدما بقدر ما نقطف الثمار الدانية، والأكثر ترجيحا أن الأمر سوف يتطلب إنجازا علميا كبيرا لاختراق الذكاء البشري العام، ولا يوجد أحد لديه أدنى فكرة عن الهيئة التي سيبدو عليها هذا الاختراق، وما هي التفاصيل التي يجب أن نحصل عليها.

يؤدي التمسك بفكرة حتمية وصول الذكاء الاصطناعي إلى مستوى الذكاء البشري إلى عدم اتخاذ موقف محايد، كما يؤدي إلى إخماد ثقافة الإبداع الضرورية لتحقيق تقدم حقيقي نحو ذكاء اصطناعي على مستوى الذكاء البشري، وهو أمر غير جيد سواء للعلم أو لنا؛ فلن نحصل على إبداع حقيقي إذا تم تجاهل لغز أساسي بدلا من مواجهته، حيث يتم تهميش الاختراع الحقيقي لصالح الأحاديث المستقبلية التي تدعو إلى توجهات معينة، وكثيرا ما تكون تعبيرا عن مصالح راسخة لأصحاب رأس المال الذكي.

قارن باحثو الذكاء الاصطناعي والمتحمسون له بين منهج التفكير الخاص بالذكاء البشري، ومنهج التفكير المنطقي الخاص بالذكاء الاصطناعي، وهو خطأ فادح؛ فالذكاء الاصطناعي الحديث يعتمد على «الاستدلال الاستقرائي» الذي تقوم من خلاله أجهزة الكمبيوتر بعمل ارتباطات إحصائية لتحديد النتائج التي يحتمل أن تكون صحيحة، بينما يعمل العقل البشري بشكل مختلف تماما؛ فهو لايربط بين مجموعة من البيانات، وإنما يصل لأفضل تخمينات من خلال السياق والخبرة، والملاحظة، والمعرفة الفعلية عن العالم، وليس لدينا أي أدلة علمية على كيفية برمجة هذا النوع من التفكير البشري المسمى «بالاختطاف»، على الرغم من كونه جوهر الحس السليم.

عرض لارسون رحلة الذكاء الاصطناعي منذ البداية، منذ أعمال «آلان تورينج» (١٩١٢-١٩٥٤) المبكرة إلى النماذج السائدة للتعلم الآلي اليوم، ويعد الأخير رائد علم الكمبيوتر، والذكاء الاصطناعي. أثرت أفكاره في تطوير علم الحاسوب النظري؛ حيث قدم صياغة رسمية لمفهومي الخوارزمية، والحوسبة باستخدام «آلة تورينج» والتي يمكن اعتبارها من بين النماذج الأولى للحواسيب، وكانت أجهزة الكمبيوتر آنذاك بطيئة وغير مبهرة بمقاييس اليوم، فسرّعت قليلا من الحسابات العلمية، وأمكن تغذيتها بمعادلات فيزيائية وشروط أولية لإخراج نصف القطر النووي، وسرعان ما أدركت شركة IBM) قدرتها على استبدال البشر الذين يقومون بالعمليات الحسابية للشركات، ولكن ظل النظر إلى أجهزة الكمبيوتر باعتبارها « آلة تفكير» ينقصها الخيال. نشر «تورينج» ورقة بحثية عن -آلات الحوسبة والذكاء، ذكر فيها نتائج ما يعرف باسم» اختبار تورنج»، وقد كان اختبارا صعبا لم يجتزه أي حاسوب، ومع ذلك كانت مخرجات الحاسوب، ونتائجه القابلة للملاحظة مشجعة لتبني وجهة نظر تعتبر الذكاء الاصطناعي علما مشروعا ذا هدف محدد جيدا. مع تبلور الذكاء الاصطناعي في خمسينيات القرن العشرين، اتفق العديد من رواد هذا الاتجاه وأنصاره مع تورينج، أن أي جهاز كمبيوتر يجري محادثة مستمرة ومقنعة مع شخص ما لابد أنه يفعل شيئا يتطلب التفكير- أيا كان نوع هذا التفكير- رأى تورينج أن الآلات من الممكن أن تعمل تلقائيا، و يمكنها حل المشاكل التي تواجهها، دون أي مساعدة خارجية، أو ذكاء خارجي، ويقصد به العامل البشري. ساعد عمل تورنج عام ١٩٣٦على تطوير»الآلات الحاسوبية» في إطلاق علم الحاسوب كتخصص، وغاب عن تعريف تورينج شيئ أساسي هو فكرة العقل، والقدرات البشرية التي تساعد في حل المشكلات، لقد كانت محاولة ذكية ناقصة.

عرض الكاتب إسهامات «جودل» حول الاستدلال، والتي تم تطويرها في مجالي المنطق والرياضيات، وأصبحت تستخدم أنظمة رمزية يتم استخدامها في مجال الحاسوب، موضحا أن هناك ثلاثة أنواع من الاستدلال: الاستدلال التقليدي «الاستنتاج»، والاستدلال الحديث «الاستقراء»، و «الاختطاف». لكل نوع ما يميزه ولا يمكن اختزال أحدها في الآخر؛ لذلك فلن يكون ذا جدوى بناء أنظمة الذكاء الاصطناعي باستخدام الاستدلال الذي يقوم عليه الذكاء العام البشري. ميز جودل بين «الإبداع الآلى»، و»الحدس العقلي»، وتساءل هل يمكن اختزال حدس العقل وقدرته على فهم الحقيقة والمعنى إلى آلة، أوفي حاسوب. كان سؤال جودل محورا للتساؤل حول مفهوم «الذكاء الاصطناعي» على الرغم من عدم صياغة المصطلح آنذاك . أكد جودل على أمر هام أن أي نظام رياضي معقد لديه بعض القيود، وهي تسمح بالتعبير الدقيق عن الحقيقة، والزيف باستخدام أدوات الإثبات، ولكن هناك بعض الحقائق لا يمكن إثباتها، فهل يستطيع العقل البشري معرفة أشياء لا

يستطيع النظام معرفتها؟ بالرجوع لمفهوم الحدس يمكن للبشر إدراك صحتها؛ فالنظام أعمى، والعقل بصير، والنظام له حدود، ويمكن للعقل البشري رؤية أشياءلا يراها الحاسوب.

فند الكاتب رأيا» لكورزويل» كان قد نشره في كتابه «عصر الآلات الروحية»، والذي ذكر فيه أن الآلات كانت مهيئة لتلائم الإدراك البشري ثم تتجاوزه، وتبلورت الفكرة في كتبه اللاحقة، واعتبر أن تجاوز الآلات لقدرات الإنسان العقلية أمر حتمي، وسيكون التحدي فيما بعد هو اللحاق بها، ومواكبتها، وقد انتقد كل من «جزين سيرل»، و«توماس راي» تلك الفكرة، فقال سيرل إن أجهزة الكمبيوتر لا يمكنها فهم أي شيء، وقدم «دينتون» حجة قوية حول مدى تعقيد الخلايا العصبية الفردية، ومدى عدم كفاية فهمنا وقدرتنا على تقليد هذه الخلايا بشكل واقعي، ولم تقلل تلك الانتقادات من ثقة «كورزويل» المتوهجة لمستقبل الذكاء الاصطناعي القوي .

قدم لارسون حجتين رئيستين يؤكد بهما بعدنا عن حل مشكلة الذكاء الاصطناعي العام، الحجة الأولى، تتمثل في طبيعة الاستدلال، والثانية على طبيعة اللغة البشرية، فيما يتعلق بالاستدلال، يوضح أن الاستدلال المعروف باسم» الاختطاف»، ليس له في الوقت الحالي أي تمثيل، أو تنفيذ حسابي مناسب، ومن المؤكد أن علماء الكمبيوتر يدركون حاجتهم إليه إذا أرادوا النجاح في إنتاج ذكاء عام اصطناعي. رغم محاولتهم لتشكيل مزيج من الاستدلال «الاستنتاجي، والاستقرائي»، فإن لارسون يوضح أن المشكلة أنه لا الاستنتاج، ولا الاستقراء ولا مزيجهما كافيين لإعادة بناء الاختطاف. تكمن مشكلة هذا التفكير الافتراضي أو التخميني، في أن نطاق الفرضيات لا نهائي تقريبًا، ويمكن للذكاء البشري فقط، بطريقة ما، التدقيق في هذه الفرضيات وتحديد ذات الصلة منها، أما فيما يتعلق بطبيعة اللغة كسبب كون الذكاء الاصطناعي بعيدا عن الانطلاق، فقدرتنا على استخدام اللغة البشرية ليست مسألة نحوية فحسب، إنما تعتمد على دلالات، ومعاني الكلمات، بشكل فردي، أو في السياق المستخدم، وهدف المتحدث في التأثير على المستمع من خلال استخدامه للغة. ويرى لارسون أنه إلى الآن ليس لدينا طريقة لتمثيل المعرفة التي تعتمد عليها دلالات اللغة الرمزية والبراجماتية. نتيجة لذلك، فإن الألغاز اللغوية التي يسهل على البشر فهمها، والتي تم تحديدها منذ أكثر من خمسين عامًا على أنها أبعد من فهم أجهزة الكمبيوتر، لا تزال خارج

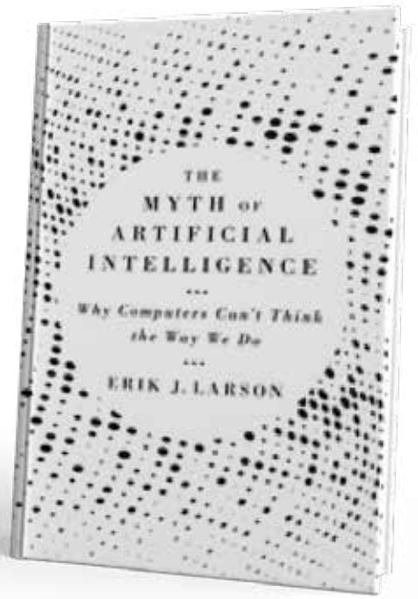

نطاق قدرتها على الفهم حتى الآن؛ فمعالجة اللغة الطبيعية أمر معقد يحتاج إلى ترميز مجموعة الأنماط النحوية، والمعاني، والمبالغات اللغوية. يحتاج أي جهاز كمبيوتر لتحقيق الفهم في بعض المجالات إلى الكثير من المعرفة التي تستلزم برمجة مضنية، حتى برامج الألعاب على المستوى العالمي تحتاج إلى العديد من القواعد والاستدلالات المبرمجة بشكل صريح. على الجانب الآخر، لا يحتاج البشر إلى أي من هذا؛ فالعقل البشري يصل إلى استنتاجات صحيحة حول العديد من الأشياء تأسيساعلى بيانات محدودة للغاية، أو غير مكتملة - رغم أننا لسنا معصومين من الخطأ-لكن المعجزة تكمن في أننا نكون على صواب في أغلب الأحيان.

ضرب لارسون مثالا آخر للإخفاق في عالم الذكاء الاصطناعي، حيث لم تستطع القيادة الآلية أن تصل إلى المستوى الخامس دون الحاجة إلى التوجيه البشري؛ فالسيارة ذاتية القيادة قد تصطدم بحافلة ركاب حرصا على تفادي شجرة، أو حائط؛ فالأمر هنا يتعلق بأمر التمييز البصري للأشياء. كذلك يشير إلى كيفية القيادة في بلد مثل «مولودوفا» حيث لا يوجد بها إشارات، وقواعد واضحة، ولا أحد يعرف كيف يتمكن السائقون من تفادي الاصطدام ببعضهم البعض، وكيف يتراجعون، لكن فقط سائقو مولودوفا يعرفون؛ إنه التواصل البصري بينهم، فهم يتواصلون لمعرفة من لديه استعداد للتراجع، ومن سيمضي قدما. وعلى هذا يمكن الوصول إلى المستوى السادس في القيادة بدون سائق إذا تعلمت أنظمة الذكاء الاصطناعي قراءة أعين السائقين لتحديد ما إذا كانوا سيكبحون أنفسهم، أو أنهم سيختارون الاتجاه إلى اليسار، أو اليمين. يتضح من المثال أنه حتى مع زيادة قوة التعلم الآلي / العميق المتطور؛ فالأجهزة تتطور ولكنها لم تصل إلى الآن لمستوى الذكاء البشري. يجعلنا هذا المثال نقف على النطاق الكامل للقدرات المعرفية البشرية،لنعرف ماهي القدرات التي يحتاجها الذكاء الاصطناعي فعليًا لتحقيق ما يمكن أن يفعله البشر، فإن النقص الذي يواجه الذكاء الاصطناعي شديد.

أكد الكاتب أن ثقافة الترويج للذكاء الاصطناعي،تبسّط الأفكار حول الإنسان،وتضخّم الأفكار حول التكنولوجيا، كما يرى أن ثقافة الاختراع يجب أن تقوم على استكشاف الأشياء المجهولة، وليس المبالغة في ترويج الأساليب الحالية. سيستمر الذكاء الاصطناعي الاستقرائي في تحسين المهام المتاحة، ولكن إذا أردنا إحراز تقدم حقيقي، يجب أن نتخلى عن الحديث المستقبلي، وأن نتعلم كيف نقدّر الذكاء الحقيقي الوحيد الذي نعرفه بشكل أفضل -- ذكاءنا نحن.

لم يكن لارسون مناهضا لفكرة الذكاء الاصطناعي وليس لديه رغبة في انتهائه، أو الكف عن البحث فيه فهو مساهم قوي في هذا المجال، ولكنه يحاول إخراج «أبحاث الذكاء الاصطناعي من عالم الخيال الذي تسكنه، فقد واجه مشكلة «الذكاء الاصطناعي العام» كما يفضّل أن يسميها بعقل متفتح؛ فهو يرى أنه يصعب أن تتمتع الآلة بحياة معرفية، وأن الذكاء الاصطناعي ليس لديه حلول يقدمها حتى يكون الذكاء البشري قابلا في النهاية للاختزال في آلة. لا يجزم لارسون أن الذكاء الاصطناعي أمر مستحيل،لكن ليس هناك أسباب للاعتقاد في حتميته؛ لذا فهو يتحدى من يروّج له، وإن ترك الذكاء الاصطناعي العام كامكانية لمن يقدم أفكارا جيدة للمضي قدما. نجح لارسون في كتابه «أسطورة الذكاء الاصطناعي» في إزالة أسطورة حتمية تفوّق الآلة على الذكاء البشري؛ فمثل هذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة كما أن العلم والفلسفة لا يدعمانه.

العنوان: أسطورة الذكاء الاصطناعي: لماذا لايستطيع الحاسوب أن يفكر بطريقتنا

المؤلف: إريك .ج.لارسون

اللغة: الإنجليزية

الناشر: اسبن- 2021

* كاتبة وباحثة مصرية

المجتمعات المَدينة: الائتمان والرفاهية في الديمقراطيات الغنية

أندرياس فيدمان

زينب الكلبانية *

في العديد من الديمقراطيات الغنية، أصبح الوصول إلى الأسواق المالية الآن شرطا أساسيا، للمشاركة الكاملة في أسواق العمل، والإسكان ومُتابعة الفرص التعليمية. تقدم المجتمعات المثقلة بالديون نظرية جديدة للسياسة الاجتماعية للاقتراض اليومي؛ لفحص كيف أن ظهور الائتمان بديل خاص لدولة الرفاهية، ويخلق نوعًا جديدًا من المواطنة الاجتماعية والاقتصادية. يقدم أندرياس فيدمان دراسة غنية لتقلب الدخل، وارتفاع مديونية الأسر عبر دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

أدت السياسات الاجتماعية الأضعف، واقتصاد المعرفة المرن، إلى زيادة تكاليف الإسكان والتعليم وتربية الأسرة - مما أجبر الكثير من النَّاس على تحمل الديون - من خلال تسليط الضوء على كيفية تفاعل أسواق الائتمان مع دول الرفاهية، يساعد الكتاب في شرح سبب مديونية مجموعات مماثلة من الناس، في بعض البلدان أكثر من غيرها. علاوة على ذلك، فهو يعالج السؤال الأساسي حول ما إذا كان يجب أن يتحمل الأفراد، أو الدول أو الأسواق مسؤولية معالجة المخاطر الاجتماعية، والاقتصادية وتوفير الفرص الاجتماعية.

تحدث الكاتب أولاً عن الائتمان والرفاهية في الديمقراطيات الغنية، إذ يحدد هذا الفصل التمهيدي الألغاز والأسئلة الرئيسية، ويوضح الحجة الرئيسية للكتاب، ويسلط الضوء على مساهمات الكتاب وآثاره. يطور الكتاب إطارا مقارنا جديدا يدمج أنظمة الائتمان والسياسات الاجتماعية في دراسة الاقتصاد السياسي المقارن. يساهم في مجموعة من الآداب في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، بما في ذلك الآداب عن الدول والأسواق من خلال تجاوز التركيز على صلة بديلة بحتة بين دول الرفاهية، والأسواق المالية، ويوسع العمل في الاقتصاد السياسي الدولي بشأن تدفقات رأس المال، ونطاق السياسة من خلال إدخال مفهوم أنظمة الائتمان؛ ويلقي ضوءا جديدا على الأبحاث حول عدم المساواة في الدخل والثروة، من خلال توثيق التخصيص والتوزيع المتراجعين لأسواق الائتمان للموارد، والمسؤوليات، والأشكال الجديدة من عدم المساواة والتمييز، ثم يوضح الفصل الاستراتيجيات التجريبية الرئيسية ومصادر البيانات للكتاب. النهج الرئيسي للكتاب هو دراسة الأفراد ضمن قيود مؤسسية معينة في بلدان مختلفة للتعامل مع المخاطر الاجتماعية، واغتنام الفرص الاجتماعية. وهو يقوم بذلك من خلال الاعتماد على مقياس جديد لسماح نظام الائتمان، وبيانات لوحة طولية على المستوى الجزئي من الدنمارك، والولايات المتحدة، وألمانيا، ومسح أصلي متعدد الجنسيات.

ثانيا، تحدث أندرياس فيدمان عن نظرية السياسة الاجتماعية للاقتراض اليومي، إذ يوضح هذا الفصل نظرية السياسة الاجتماعية للاقتراض اليومي. ويناقش مدى حماية دول الرفاه من المخاطر الاجتماعية، وتوفير الاستثمارات الاجتماعية. في العديد من البلدان، أصبحت هذه الخدمات غير كافية، في ضوء أنماط العمالة المجزأة، ومسارات الحياة، مما أدى إلى زيادة الطلب على آليات التكيف الخاصة، لمعالجة الفجوات المالية، بسبب الدخل المتقلب، وخسائر الأرباح، وارتفاع النفقات. يقدم مفهوم أنظمة الائتمان، بحجة أن الهياكل المؤسسية، والبيئات التنظيمية، والسياسات تشكل سماح أنظمة الائتمان، ووصول الأسر إلى الائتمان. كما يشرح الفصل كيف تشكل كوكبة دولة الرفاهية، وهياكل نظام الائتمان دور الائتمان كآلية للتكيف. عندما تكون أنظمة الائتمان متساهلة، تقترض الأسر لمواجهة المخاطر الاجتماعية، وتستخدم الائتمان كاستثمارات اجتماعية. الائتمان إما أن يحل محل دول الرفاهية، أو يكملها اعتمادا على المجموعات التي تحميها السياسات الاجتماعية وتدعمها. على النقيض من ذلك، عندما تكون أنظمة الائتمان مقيدة، تعتمد الأسر على المدخرات، أو تستخدم دعم الأسرة، أو تخفض النفقات؛ لأن خيار الاقتراض مستبعد. إن الاعتماد على أسواق الائتمان بدلا من السياسات الاجتماعية يعكس تحولا أكثر جوهرية في الحقوق الاجتماعية، والمسؤوليات الاجتماعية، وتخصيص الموارد، والمخاطر.

ثالثا، تحدث الكتاب عن النقص المالي ودور دول الرفاه في ذلك، إذ يوثق هذا الفصل كيف أدت التغييرات الهيكلية في أسواق العمل، ومسارات مسار الحياة، ودول الرفاهية إلى زيادة تقلب الدخل والعجز المالي، بمرور الوقت وعبر البلدان. ويبدأ بتقديم مقياس جديد للعجز المالي، ومقارنة التقلبات السنوية في الدخل الإجمالي والصافي، للأسر بناء على بيانات لوحة من الدنمارك، والولايات المتحدة وألمانيا، مما يكشف عن تباين كبير في تقلب الدخل عبر البلدان وداخلها. إنه يوضح أن دولة الرفاهية الدنماركية، تمتص كميات أكبر بكثير من تقلب الدخل الإجمالي، الذي ينتج عن سوق العمل المرن، مقارنة بالولايات المتحدة. في ألمانيا، تعالج دولة الرفاهية أيضا حصة كبيرة من تقلب الدخل الإجمالي. ولكن على عكس الدنمارك، انخفض تقلب الدخل الإجمالي بشكل طفيف، منذ منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بينما زاد تقلب صافي الدخل خلال فترة إصلاح هارتز، في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

يوضح هذا الفصل أيضاً، أن تقلب الدخل في الدنمارك والولايات المتحدة بسبب أحداث دورة الحياة، مثل أخذ إجازة من العمل، لتربية الأسرة، أو للحصول على التدريب والتعليم أكثر انتشارا، من تقلب الدخل بسبب البطالة أو المرض. على النقيض من ذلك، في ألمانيا، لا تزال الاضطرابات الوظيفية تؤدي إلى تقلبات في الدخل أكثر من اختيارات مسار الحياة.

رابعا، تحدث الكاتب عن أنظمة الائتمان وأنماط مديونية الأسرة، إذ يقدم هذا الفصل مقياسا جديدا لسماح نظام الائتمان لسبع عشر دولة، من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تمتد للفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٧. ويقدر درجات سماح نظام الائتمان الخاص بكل بلد استنادا إلى ستة مؤشرات تجريبية، تلتقط اتساع ونطاق الأسواق المالية، وتخصيص الائتمان بين الأسر والشركات، ودعم خيارات السياسة التنظيمية والمالية، باستخدام تحليل المكون الرئيسي. تتمتع الاقتصادات الأنجلو ساكسونية

وهولندا والدنمارك والسويد بأكثر أنظمة الائتمان تساهلا، مما يوفر للأسر وصولا سهلا إلى الائتمان. على النقيض من ذلك، فإن جنوب أوروبا وألمانيا والنمسا، لديها أكثر أنظمة الائتمان تقييدا، مما يجعل من الصعب على الناس الحصول على قروض. تحدد أنظمة الائتمان مدى سهولة اقتراض الأسر للمال، وتساعد في تشكيل توزيع الديون عبر البلدان وداخلها. كما يناقش الفصل بالتفصيل السمات المؤسسية والسياسية لأنظمة الائتمان الدنماركية والأمريكية والألمانية. ويختتم بتوثيق التباين الكبير في آليات التكيف لدى الأسر، واحتمالية خوضها في الديون لمعالجة خسائر الدخل غير المتوقعة. بشكل عام، تقترض الأسر المال فقط للتعويض عن ضعف سخاء التأمين ضد البطالة، عندما تكون أنظمة الائتمان متساهلة.

خامسا، تحدث فيدمان عن الاقتراض لمعالجة مخاطر سوق العمل، إذ يركز هذا الفصل على الاقتراض لمعالجة المخاطر الاجتماعية؛ التي تنشأ من أنماط التوظيف المعطلة مثل البطالة، أو المرض أو تقلب ساعات العمل. ضمن أنظمة الائتمان المتساهلة، فإن الأسر الأقل حماية من قبل دولة الرفاهية، تقترض أكثر من غيرها. في الدنمارك، تقترض المجموعات ذات الدخل المرتفع والمتوسط الأعلى، والتي تعاني من خسائر جوهرية أكبر في الدخل أثناء البطالة، أكثر من الفئات ذات الدخل المنخفض، التي تتمتع بحماية جيدة من قبل دولة الرفاهية. على النقيض من ذلك، تؤثر دولة الرفاهية الأمريكية المحدودة، بشكل كبير على الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط، والتي تستفيد بشكل متزايد من أسواق الائتمان، لسد الخسائر في الدخل؛ بسبب تقلب ساعات العمل، والتوظيف المؤقت وفقدان الوظائف. في ألمانيا، نادرا ما يقترض العاطلون عن العمل المال لمعالجة النقص المالي، لأن نظام الائتمان الألماني التقييدي يجعل من الصعب جدا عليهم الحصول على قروض. يوضح هذا الفصل أن الخيارات السياسية تؤثر على العلاقة، بين السياسات الاجتماعية وديون الأسرة. يكشف التباين في سخاء إعانات البطالة عبر الولايات الأمريكية، ومع مرور الوقت فإن الأفراد الذين أصبحوا عاطلين عن العمل يقترضون أكثر في الولايات الأمريكية، حيث تكون الفوائد أقل سخاء. تُظهر إصلاحات سوق العمل الألمانية هارتز أن التخفيضات الكبيرة في المزايا الاجتماعية للعاطلين عن العمل على المدى الطويل، لم ترفع مستويات الديون للأسر المتضررة، لأن الحصول على الائتمان ظل مقيدا.

سادسا، تحدث الكاتب عن الاقتراض خلال دورة الحياة، بحيث يركز هذا الفصل على الائتمان، باعتباره استثمارا

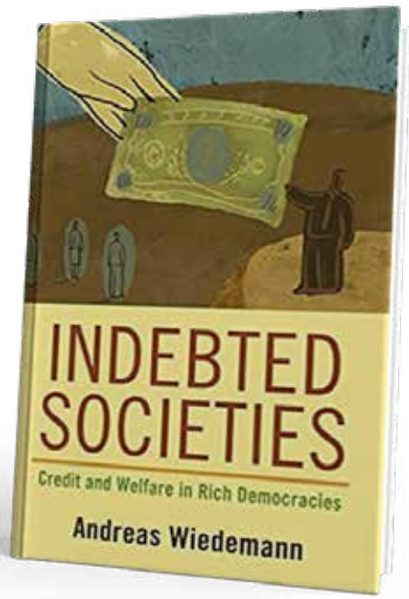

اجتماعيا مقيدا في ضوء النقص المالي الذي ينشأ خلال مسار الحياة. توفر دولة الرفاهية الدنماركية دعما ماليا قويا، لا سيما للأسر ذات الدخل المنخفض، من خلال سياسات عائلية وتعليمية شاملة، مثل خدمات رعاية الأطفال، والمزايا العينية الأخرى التي تحد من التعرض المالي للأسر، وتخفض تكاليف الفرصة البديلة للأسر، للحصول على إجازة من العمل، وإرسال الأطفال لدور الرعاية، ومتابعة برامج التعليم والتدريب. الأسر ذات الدخل المتوسط والمرتفع، هي تلك التي تعتمد على الائتمان لتخفيف خسائر الدخل، عندما يترك الزوج العمل مؤقتا، على سبيل المثال لرعاية الأطفال أو للحصول على التدريب. هذا «الاقتراض الاستثماري» منتشر أكثر من «الاقتراض الاستهلاكي»، لمواجهة المخاطر المرتبطة بسوق العمل. على النقيض من ذلك، فإن العديد من الأسر الأمريكية، بما في ذلك الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط، تقترض المال لمواجهة العواقب المالية التي تنشأ على مدار الحياة، بما في ذلك خسائر الدخل بسبب الإجازة الوالدية، أو نفقات رعاية الأطفال والتعليم والتدريب، والتي سيتم تغطيتها أو دعمها من قبل معظم دول الرفاهية الأوروبية. نظرا لأن مسارات الحياة أصبحت أكثر مرونة، وتراجع نموذج المعيل الفردي التقليدي، يواصل نظام الائتمان المقيِد في ألمانيا تصعيب اقتراض الأموال على الأسر.

سابعا، تحدث أندرياس فيدمان عن التبعات السياسية والاجتماعية الاقتصادية للائتمان والديون، إذ يقدم هذا الفصل إطارا نظريا جديدا، يساعد في شرح كيف يشكل الوصول إلى الائتمان، والمديونية، وتفضيلات السياسة الاجتماعية. تقوم أسواق الائتمان بخصخصة المخاطر والفرص. إنها تمكن الأفراد من التأمين الذاتي ضد المخاطر الاجتماعية، والانسحاب من الخدمات الاجتماعية المقدمة من القطاع العام، وجني فوائد البدائل الخاصة الممولة بالائتمان في رأس المال البشري على سبيل المثال (التعليم)، والأصول المالية مثل (الإسكان)، مع توقع المكاسب الاقتصادية والتنقل التصاعدي. لكن المديونية يمكن أن تزيد أيضا من المخاطر الاقتصادية من خلال جعل المقترضين عرضة لتقلبات الدخل، وخسائر الدخل التي تهدد سداد الديون باستخدام بيانات المسح الأصلية.

كما يوثق هذا الفصل التباين الكبير في تفضيلات السياسة الاجتماعية عبر البلدان، اعتمادا على هيكل دولة الرفاهية ونظام الائتمان، وعبر الأسر، اعتمادا على ما إذا كانت تقترض للاستهلاك أو الاستثمار، وعبر طيف الأيديولوجيا السياسية، اعتمادا على اعتقاد الناس النسبي في المسؤولية الشخصية وفعالية السوق.

أخيرا، يختتم هذا الفصل الكتاب بالتأمل في مضامينه الأوسع. إنه يرسم السياسات الكامنة وراء أنظمة الائتمان، وينعكس على التحالفات والديناميكيات السياسية الكامنة وراء العلاقات التكميلية، والاستبدالية، لأسواق الائتمان مع دول الرفاهية. ثم يناقش كيفية تضخيم أسواق الائتمان القديمة وخلق أشكال جديدة من الاستبعاد الاجتماعي، وعدم المساواة من خلال التمييز، أو تسجيل الائتمان، أو الوصول إلى الائتمان التفاضلي. نظرا لأن أسواق الائتمان أصبحت أكثر تأثيرا، وتحدد بشكل متزايد فرص الحياة، فإن الوصول المتكافئ والعادل إلى الائتمان أصبح الآن شرطا أساسيا، للمشاركة الكاملة، والاندماج في أسواق العمل وأسواق الإسكان، فضلا عن الفرص التعليمية، ومسارات بناء الثروة. ينتهي الفصل بمناقشة الطرق المحتملة التي يمكن أن تعمل بها أسواق الائتمان ودول الرفاهية معا، وليس ضد بعضها البعض، لضمان توزيع أكثر عدلا ومساواة للمخاطر الاجتماعية والفرص.

الكتاب: المجتمعات المدينة: الائتمان والرفاهية في الديمقراطيات الغنية
المؤلف: أندرياس فيدمان
دار النشر: مطبعة جامعة كامبريدج
سنة النشر: يونيو 2021
اللغة: اللغة الإنجليزية
عدد الصفحات: 350 صفحة

* كاتبة عُمانية

الرأسمالية الوبائية: كسر الأيض العالمي

خايمي شوشوكا سيرانو

كلثوم بوطالب *

من مزايا هذا الكتاب الأسئلة البحثية المحفزة للتفكير التي يطرحها وتفتح آفاقاً جديدة في موضوع الوباء وعلاقته بالرأسمالية، فقد كانت سنة 2019 سنة تعبئة بامتياز في القرن الحادي والعشرين، أبطأت الجائحة الحياة، ونبَّه البنك العالمي وصندوق النقد الدولي الحكومات إلى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي سيجتاح العالم؛ فقد ظهر فيروس كورونا بوصفه حليفا استراتيجيا لمعظم الحكومات، وشُلّت حركة السكان وتمت تصفية برامجهم النيوليبيرالية، وشلت الاحتجاجات بواسطة الحجر القسري، وتم زرع الذعر في نفوسهم من فيروس كورونا بالخوف من الآخر في الداخل أولا، وضده في الخارج، فنشأ الخطر كنوع من النفور من الآخر.

بالتالي فإنَّ هذا الكتاب «الرأسمالية الوبائية: كسر الأيض العالمي» مثير على عدة مستويات، وعلى الرغم من أنه منظم بطريقة منهجية، إلا أنه يبدو وكأنه سلسلة مكونة من مقاطع مثل معرض للصور يمكن قراءته في كليته في كل لوحة من لوحاته التي رسمت بفرشاة مماثلة ولكن بسيمات مختلفة.

يتناول الكاتب في الفصل الأول المفاهيم النظرية والفلسفية والاجتماعية التي تشير إلى العلاقات بين الإنسان والطبيعة، والأزمات الناجمة عن الرأسمالية والتي نشأ عنها الاستقلاب العالمي، ويُعد هذا الفصل تأسيسيا تبنى عليه الفصول اللاحقة. وقد عنون الكاتب الفصل الأول من الكتاب «الرأسمالية وكسر الأيض العالمي. قراءة في نظريات ماركس». انبثقت خطوط هذا الفصل من التأملات حول الكفاح من أجل الدفاع عن الطبيعة والمياه في الإكوادور وأمريكا اللاتينية والكاريبي والعالم، حيث تزايد الاهتمام بهذه القضايا بسبب أزمة مرض الوريد الفيروسي. وقد حاول الكاتب الغوص في نظريات ماركس باستعانته بمخطوطات اقتصادية فلسفية تعود لسنة ١٨٤٤، وأفكار الأيديولوجية الألمانية، بالإضافة إلى نظرية فويرباخ، وخلص من خلالها إلى تحديد طبيعة العلاقات بين الإنسان والطبيعة بما هو نظام معقد للمفاهيم، حيث أوجزها الكاتب في الأسئلة الآتية: إلى أيّ حد وصلت الطبيعة والإنسان إلى الرأسمالية؟ وكيف السبيل للتغلب على أزمة الرأسمالية ثورياً مع مجتمع جديد يفرض حلولاً ملموسة لإنقاذ كسر الأيض العالمي) الطبيعة والإنسان (وحياة كوكب الأرض؟

قام الكاتب في الجزء الأول من هذا الفصل بتحليل العلاقة الفلسفية الواضحة بين الطبيعة والإنسان منتقدا بذلك نشاط الإنسان على نحو موضوعي ذاتي ذاتي-موضوعي في علاقته مع الطبيعة. وعبَّرت جل الإجابات الممكنة عن النشاط البشري الجماعي والكفاح التضامني بغية جعل المجتمعات الرأسمالية منسجمة مع الطبيعة. أما الفقرة الثانية فقد أثث الكاتب فيها لمفهوم الأيض العالمي والاجتماعي كظاهرة للعلاقة بين الإنسان والطبيعة فتضمنت تحليلاً لمفاهيم الجسد والوعي والروح، بينما في الفقرة الثالثة يفضح المؤلف أطروحة الكسر الأيضي الاجتماعية والعالمية التي نحتتها الحداثة الرأسمالية، فيما تناول في الفقرة الأخيرة من هذا الفصل موضوع الثورة باعتبارها الحل الممكن لكسر أزمة الأيض الاجتماعي في جوهرها بالنسبة للرأسمالية.

صحيح أنَّ الثورات التي حدثت في الإنتاج بداية من العصر الحجري الحديث وإلى بداية الحداثة الرأسمالية غيرت بوحشية البيئة التي تطور من أجلها الإنسان، فتكوين جسم الإنسان عبر ملايين السنين هو تكوين أنتج لعالم لم يعد موجودًا بعد، ولكن في المُقابل هناك احتمالات لتحقيق التوازن والحيلولة دون تدمير الأيض العالمي والاجتماعي الذي ينتج عنه تمزق غير صحي بضغط من شروط الرأسمالية، فتحكم الحداثة الرأسمالية في عملية الأيض العالمي وتأثيرها عليها ومعها طبيعة وجسم الإنسان الذي هو عبارة عن تكوين تاريخي وبيولوجي واجتماعي، باعتبار أنَّ الصحة تتوافق مع شروط البقاء على قيد الحياة، فالجسد هو مصدر القوة والسلطة.

يوضح الكاتب أن كسر الأيض العالمي بحاجة إلى ثورة نظامية وثقافية حيث شكلت جائحة كوفيد الحد الأدنى للتعبير عن الكوارث العالمية التي تحدث بسبب تغير المناخ وشح المياه. ويشير العنف الوبائي والسلطة في محاولة للسيطرة على لقاحات الفيروسات إلى قيمة التغيير الذي تعرفه الدورة الاقتصادية والنزعة إلى إبراز «الجمال» على حساب القوة والصحة، ويكشف هذا عن التناقض بين قيمة التغيير وقيمة الاستخدام، فالرابط المُتناغم بين الطبيعة وجسد الإنسان يُعاني من كسور بسبب الثقافة.

يعالج الكاتب في الفصل الثاني أزمة مركزية الإنسان وإمكانية حلول عصر النتروبوسين حيث يعتبرهما ظاهرتين مُشتركتين، ويؤكد على أن هيمنة الرجل الأبيض فرضت قواعد في الفلسفة والعلوم المؤسسة لعدة قرون، وقد دخلت مركزية الإنسان في أزمة منذ أن اتضح للمجتمعات حجم الكوارث الناجمة عن تغير المناخ. ويُقدم الكاتب في هذا الفصل بعض الأمثلة على أزمة مركزية الإنسان من خلال كسر الأيض العالمي الاجتماعي والطبيعي.

عرفت لحظات الإنتاج الوبائي أحداثا متوالية ومُتزامنة مثل الحرائق وتدمير الطبيعة والانفجار الرأسمالي والديكتاتورية الرقمية العالمية وزعزعة الاستقرار والأحداث الناشئة عن تغيير المناخ والبناء السياسي والاجتماعي لفيروس سارس كوفيد ١٩. كما يناقش الكاتب أيضاً في هذا الفصل الخصائص المميزة للوفيات الوبائية وجذور الحرب الباردة الحالية وأول لقاح يظهر في روسيا وخلق الجوع في نظام الدولة السوق وانهيار قيمة برميل النفط. وقد لاحظ المؤلف أنَّ مجموعة من المناطق حول العالم عرفت حرائق الغابات ونفوق العديد من الحيوانات: في أستراليا مثلا نفق ٥٠٠ مليون حيوان بسبب الحرائق منذ شتنبر ٢٠١٩ إلى بداية يناير ٢٠٢٠. ويرى الكاتب أن المشكلة ترجع أساسا إلى الأسلوب الرأسمالي الاستغلالي، والاستغلال العدواني للموارد الطبيعية والانقراض الجماعي لنظم التنوع البيولوجي، وهذه هي الأسباب الرئيسة لحرائق الغابات، وقد توقعت ذلك المنظمات ونبهت بالفعل إلى الأخطار التي تواجه الكوكب بزيادة موجات الحرارة والاحتراق الأحفوري.

أما بالنسبة للأزمة الرأسمالية الحالية فلها أبعاد غير مسبوقة إضافة إلى الحرب العالمية الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، والتي أظهرت أنَّ الاقتصاد والأسلحة يشكلان جزءا من عقدة جورديان، ومن ثم استخلصت الاستراتيجيات التي تسببت في إفلاس الشركات وتضررها اقتصاديا وأثرت على رئة الرأسمالية: الأسواق. كما أن السلطات أعلنت حضر التجوال تحت ذريعة جائحة كوفيد، وعلى إثره أغلقت الشركات ولم تعد قادرة على دفع الأجور، بينما أفلست شركات ومؤسسات أخرى، وكان لهذا انعكاس على المجتمع، فيما انتشرت الأزمة عبر بقاع العالم.

قدم الكاتب مثالا آخر عن هذه الأزمة يتمثل في ندرة المياه في مناطق مختلفة والذي يسبب مآسي يومية، ويرى الكاتب أنَّ الإبادة البيئية الممنهجة مرتبطة بالأنشطة البشرية التي تنضوي على تراكم أسرع للرأسمالية، في حين يمثل التدمير البيولوجي والجيولوجي لمئات ملايين السنين من التحول الطبيعي. لهذا نجد أنفسنا بفعل هذا الوباء ندخل في عهد جديد وعالم من حالة الطوارئ، وتقدم الحكومات ووسائط الإعلام نفسها بوصفها صانعة الخيال الاجتماعي للإنتاج والتحكم والتقييم.

بعد الحرب العالمية الثانية شرع الاتحاد السوفياتي في إعادة البناء للاقتصاد المخطط تحت شعارات قومية، كما فعلت أوروبا الشيء نفسه وذلك لأسباب مختلفة وضخت خطة مارشال الأمريكية الرأسمال ووجهت نموها الاقتصادي سياسيا. وتعتبر الولايات المتحدة المحور المركزي للرأسمالية للعالم وللحروب، فقد شغلت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية العالم الثالث، في حين واصلت الإمبريالية سياستها بدعم نظام المستعمرات، وبالموازاة من ذلك، استمرت ثورات التحرر الداخلي، وخير مثال تاريخي على ذلك الثورة الصينية سنة ١٩٤٥ والثورة الكورية سنة ١٩٥٩.

يؤكد الكاتب أنَّه في عصر الرأسمالية الذي نعيشه، ليس فيروس كورونا هو العدو في حد ذاته، بل العدو يتمثل في الرأسمالية ونموذجها « النيوليبرالي»، وهي عبارة عن مجموعة من البنيات الراسخة لإلحاق الضرر بالنسيج الاجتماعي مقابل استفادة الطبقة البورجوازية.

عالج الكاتب مسألة مهمة في هذا الفصل وهي قضية توليد الجوع انطلاقاً من السؤال الآتي، لماذا تخلق الأسواق والدول الجوع في مرحلة الإنتاج العالمي الكبير؟، ويقول الكاتب إن قوة الخضوع للعمل تولد الثورات والعنف، بينما يعد الجوع من وسائل الضغط السلمية والصامتة والمستمرة، ويحقق الانضباط التام أكثر من الذي يحققه القضاء، ويعتبر الجوع هو الدافع الطبيعي للاستمرارية والامتنان، وهو أساس لنظرية المعرفة للعلوم السياسية والاقتصادية في الرأسمالية، ويشرح الكاتب الطريقة التي تولد بها حكومات أمريكا اللاتينية الجوع مع السياسات النيوليبيرالية، وما الوباء إلا طريقة متقنة لتوليد الجوع، وبالتالي الانضباط، وتراكم الممتلكات الخاصة.

لقد ساهم الوباء في تسريع انحدار الرأسمالية وشهد العالم أعلى معدل بطالة في هذا القرن وأعلى درجة عمالة غير مدفوعة الأجر. في نفس السياق ذكر الكاتب حرب التلاعب بأسعار النفط خدمة لصراعات اقتصادية وسياسية كبرى تذهب ضحيتها شعوب العالم الثالث. بالتالي يعيش الإنسان في عصر الأزمات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية والطبيعية والأزمات المصطنعة والجفاف، والفيضانات، وتغيير درجة الحرارة، والجوع، ويعد النظام الرأسمالي والمراكز الإمبريالية سببين مباشرين في تفشي كل هذه الأزمات.

يحلل الكاتب في الفصل الثالث ما أسماه بالإغلاق أو الاقفال الأكبر، ويسلط الضوء على مشاهد مختلفة من مسرح الأزمة الحالية. استخدم فيروس كورونا لبناء جهاز سياسي اقتصادي عسكري تواصلي تربوي لإعادة التسلح بشكل دائم، إنها تجربة الصدمة حيث أصبح المجتمع في ظل الوباء يعاني من الذهان الواسع الانتشار وكثرة الأقنعة التي تقوم بتصفية الهواء الذي يتنفسه المرء والكلمات التي يتفوه بها، ويرى الكاتب أن القناع منتج للصمت، ويلعب الإغلاق الكبير الذي تعرفه المجتمعات خلال الجائحة دورا مهما للسيطرة على السياسة الحيوية وبث الخوف والإقصاء الاجتماعي والتعليم الافتراضي وغيرها. وقد سهلت التعديلات التكنولوجيا والتحولات الرقمية البحث في سلوكه والسيطرة على القرارات الاقتصادية والسياسية والعاطفية لتحقيق مستقبل مبرمج. ومع تطور التكنولوجيا الإحيائية، فإن فيروس كورونا الذي يشكل جزءا من عائلة تكنولوجيات القوة التي ظهرت في المختبرات منذ القرن العشرين، ليس هو الفيروس الأول الذي استعمل ليتطابق مع السياسة البيولوجية وخطاب الذعر العالمي. شكل فيروس كورونا أكبر وسيلة للردع وأكثر قوة ضد التحركات مثلا في هونغ كونغ في الصين، والشيء نفسه في أوروبا وأمريكا اللاتينية حيث استخدم الفيروس كاستراتيجية لردع الشعوب وإثارة الذعر والعودة إلى حالة الطوارئ. ويؤكد الكاتب على أن العلاقة الوثيقة بين خلق الأمراض العالمية والأدوية واللقاحات وتسليع الصحة، تهدف إلى

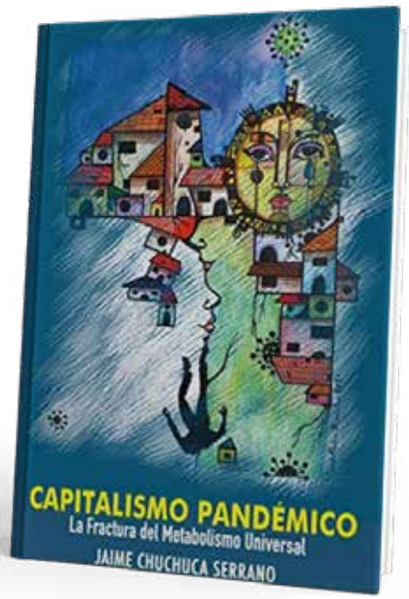

تحقيق أهداف إمبراطورية، والتشخيص الوبائي والافتراض العشوائي للكارثة واسعة الانتشار، ويكمن خطر فيروس كورونا في السياسة التشريحية، وسياسة المراقبة المضمنة في الجسم، وليس من المستبعد ظهور أمراض جديدة وإنعاش أمراض قديمة واستخدام آليات مختلفة لتهدئة الغليان الاجتماعي.

وخلف الوباء آثاراً عديدة على جميع الأصعدة، منها توليد صدمات نفسية واجتماعية دائمة، يجب أن تكون تجارب الوباء ذكية بغية التغلب عليها. ومن الناحية العسكرية، ساهمت الجائحة في إطلاق حملات الحماية باستراتيجيات عسكرية من طرف الأجهزة السياسية. كما أنتج الوباء العديد من التأثيرات التي تذهب مباشرة إلى الذاكرة اللاإرادية والتي لا تنتج من الوعي. وتعد الرأسمالية منتجاً دائماً للصدمات، ودعمت الجائحة هذه النظرية بإنتاجها لصدمات طويلة الأمد، وفي المقابل تسعى الأحلام المضطربة لغالبية السكان للتغلب على هذه الأحداث الصادمة.

سلط الكاتب الضوء على بيداغوجية الرعاية للتغلب على سياسة الخوف المفبرك التي انتهجتها الحكومات، والتي تُركز على الآخر، فبحمايته لنفسه يحمي الآخر، ويرى الكاتب أن بيداغوجية الرعاية هي جزء من مبدأ اللذة والتدمير والرعب والخوف، وهناك المتعة التي تتأسس على الإرهاب والخوف، وتدخل في نطاق الاضطرابات السياسية والاجتماعية. وقد أصبح فيروس كورونا وباءً لنشر الخوف. لقد أنشأ العالم تكنولوجيات وتقنيات مُهمة بعضها يستعمل في الحياة وبعضها يستعمل للموت. ويسبب مجتمع المعلومات الذي نعيش فيه وعصر موارد التكنولوجيا الصدمات والاضطرابات المستمرة في الجماعات والأفراد.

يطرح الكاتب سؤالا وجيهاً في الفصل الرابع، عمَّن هو الرابح في ظل هذه الجائحة؟ تاريخيا كان تراكم الرأسمال قائما على العنف والحروب، والغزو، والاستعباد التجاري، ونزع الملكية، حيث يعتبر من بين المكونات الأصلية للرأسمالية وقواها الاجتماعية. وإعادة الترتيب الجيوسياسي تجدد تكوين الرأسمال في المركز وتراكمه، ومن مظاهره العمل بدون أجر، والخضوع الجسدي حسب العرق والجنس والعمر، وترتيب المراكز والهوامش عن طريق التكنولوجيا. فقد نتج عن الأوبئة والرأسمالية تبعية اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية، وهو ما وضح حين تبين أنه وقت أزمة الوباء يتم الاعتماد الوبائي على المراكز المهيمنة والتي يوجد بها مراكز المختبرات، واستثناء الهامش، حتى ظهر ما يسمى بحرب اللقاحات، وهذا ينطبق على قوة نظرية الاعتماد ذات التوجه الماركسي التي تدعو إلى محاربة عدم المساواة بين المركز والهامش ومحاربة أبعاد التبعية التي تتمثل في التقسيم الدولي بإنتاج المواد الأولية واليد العاملة الرخيصة في الهوامش، بينما يحتكر المركز القيمة المضافة. وتتعدد مظاهر التبعية وكذلك الوباء: أبعاد اقتصادية وسياسية وثقافية وأيديولوجية واجتماعية تعليمية وتواصلية.

على سبيل الختم، يذكرنا هذا الكتاب بما حدث خلال القرن الخامس عشر، فقد قام الأوروبيون بإبادة الآلاف من السكان بعد غزو أمريكا اللاتينية، ففي بعض الأقاليم قاموا بإبادة المجتمعات بأكملها والعمل القسري للرجال والنساء والأطفال. وظهرت الحداثة الرأسمالية مع العبودية ونهب إفريقيا وكذلك فعلت أوروبا وأستراليا حيث اختطفوا واشتروا وباعوا وقتلوا الملايين من البشر الذين يطلقون عليهم اللقب العنصري «السود». تعاني الرأسمالية العديد من ثغرات وأزمات لم تستطع التغلب عليها حتى الآن، فخلال الجائحة تم إغلاق الأسواق وتقليص الإنتاج وإعادة تنشيط التعبئة العالمية ولم يسلم منها قلب أمريكا النابض حيث عرفت حدثا أشعل فتيل الاحتجاجات والذي يتمثل في مقتل جورج فلويد على يد ضابط شرطة.

ومن جهة أخرى، يركز الكاتب على ملامح حرب اللقاح بتنافس أكثر من ١٧٠ مشروعاً للحصول على الموافقة لإنتاج اللقاحات ضد سارس كوفيد و٧٠ مشروعا مازالت قيد التجارب حيث أصبحت هذه المناسبة حربا تجارية حقيقية.

واستشرافا للمُستقبل، يعالج الكاتب موضوع ما بعد الجائحة ويؤكد على أنه من المخاطرة التسرع في تحديد معالم عالم ما بعد الجائحة، من دون الانطلاق من التأويل والتعمق في التغييرات الكبيرة التي تحدث كل يوم. وهنا تكمن أهمية الكتاب في تحليل أحداث يومية وواقعية ومُقاربتها بأحداث الماضي لاستشراف المستقبل. إن جميع الأسئلة والإشكاليات التي يتطرق إليها الكاتب في عمله هذا تفتح أبواب البحث في أهم القضايا الآنية التي عالجها الكاتب لتقوية أسس العالم الفكرية والاجتماعية والأخلاقية من أجل مواجهة تغيرات العالم المستقبلية.

عنوان الكتاب: الرأسمالية الوبائية: كسر الأيض العالمي

الكاتب: خايمي شوشوكا سيرانو

سنة ودار النشر: Ediciones Opción / 2021

عدد الصفحات: 222 صفحة

لغة الكتاب: اللغة الإسبانية

* (باحثة في الدراسات الإسبانية والمقارنة، جامعة محمد الخامس-الرباط.)

لماذا تخفق الشركات الناشئة؟ خارطة طريق جديدة لنجاح ريادة الأعمال

توم إيزنمان

نايف البسامي *

إذا كنت تسعى إلى إنجاح شركتك، أو مُؤسستك الناشئة، فعليك أن تفهم أسباب فشل الشركات الناشئة. لماذا تفشل الشركات الناشئة؟ يأتي هذا السؤال بعد سعي توم إيزنمان، الأستاذ بكلية إدارة الأعمال بجامعة هارفارد، عند إدراكه بأنه لا يستطيع الإجابة عليه. من هذا السؤال، أطلق توم إيزنمان بحثاً لسنوات متعددة، لكشف الأسباب الرئيسة وراء الفشل. يمكن لشريحة كبيرة من المجتمع الاستفادة من هذا الكتاب من ضمنهم مؤسسو الشركات الناشئة في مراحلها الأولى، ورواد الأعمال الذين يتطلعون إلى توسيع نطاق شركاتهم بنجاح، بالإضافة إلى المبتكرين الذين فشلوا في إطلاق مشروعهم.

يكشف إيزنمان من خلال بحثه هذا، عن ستة أنماط متميزة، بحيث تمثل الغالبية العظمى من الأسباب وراء الإخفاقات المتكررة لرواد الأعمال الناشئين من خلال شركاتهم، ومشاريعهم في مختلف المجالات. يمكننا تلخيص هذه الأنماط كالتالي:

أولاً، الرفقاء السيئون: يُعتقد أنَّ نجاح الكثير من الشركات الناشئة يعتمد إلى حد كبير على مواهب المُؤسس وغرائزه وشغفه. لكن الفريق، أو الرفقاء الخطأ أو المستثمرين، يمكنهم إغراق المشروع بنفس السرعة، التي قد تفوق سرعة النجاح المعتادة.

ثانياً، البدايات الخطأ: يعول الكثير من رواد الأعمال الناشئين على اتباع نصائح قد تزيد الوضع سوءًا مثل «الفشل السريع» و «الإطلاق قبل أن تكون جاهزا»، بحيث يخاطر المؤسسون بإضاعة الوقت، ورأس المال في الحلول الخاطئة.

ثالثا، وعود كاذبة: يمكن للنجاح المُبكر أن يسبب الخسارة للشركات الناشئة، بحيث يُعطي للمؤسس الثقة الزائدة للتوسع، ومن ثم الخسارة.

رابعا، فخ السرعة: على الرغم من الضغط الكبير لمؤسسي الشركات الناشئة على تحقيق أرباح في أسرع وقت، يمكن أن يؤدي النمو المفرط إلى كارثة، حتى بالنسبة إلى أكثر المشاريع الواعدة.

خامسا، المساعدة المطلوبة: تحتاج الشركات الناشئة سريعة النمو إلى الكثير من رأس المال والمواهب، هذه السرعة قد تخلق فجوة بين كلا الأمرين المال والمواهب؛ مما يسهل الوقوع في الخطأ، والإخفاق والتعرض للفشل.

سادسا، المعجزات المتتالية: يحث وادي السيليكون (وادي السيليكون هو موطن لأكبر شركات التكنولوجيا في العالم، والآلاف من الشركات الناشئة ذات الصلة بالتكنولوجيا) رواد الأعمال على أن يحلموا بأحلام كبيرة. ولكن كلما كانت الرؤية أكبر، زادت الأمور التي يمكن أن تسوء بصورة أسرع من المتوقع. يمكن النظر إلى القصص الرائعة للمشاريع التي فشلت في وقت مبكر، رغم الوعود الأولية بالنجاح، مثل التحول من بائع تجزئة للمفروشات المنزلية إلى خدمة تنقل كلاب كونسيرج، ومن علامة تجارية للأزياء إلى شركة ناشئة تنشر شبكة واسعة من محطات الشحن للسيارات الكهربائية. يقدم إيزنمان إطارا واسعا لاكتشاف متى يكون المشروع عرضة لهذه الأنماط، إلى جانب مجموعة كبيرة من الاستراتيجيات والتكتيكات لتجنبها.

إطار العمل يفحص كيفية أداء المكونات المختلفة لبدء التشغيل في أي شركة ناشئة، وأين توجد نقاط الضغط في أداة التنقل من خلال مهمة واحدة. من خلال هذه الومضات التي تنظر إلى أحد هذه النماذج، التي تسلط الضوء على ستة أسباب رئيسة لفشل حتى أفضل الشركات الواعدة، أو حتى المؤسسين المخضرمين. ستبقى شركتك الناشئة على المسار الصحيح للنجاح إذا كنت تستخدمها بالطريقة الصحيحة. سوف تدرك أن هنالك أربع فرص حاسمة للنجاح، يلخصها لنا توم إيزنمان بالإضافة إلى عدم ضمان النجاح، حتى مع وجود ملايين الدولارات من تمويل الاستثمار. ستحتاج إلى إطار عمل قوي لتقييم صحة شركتك الناشئة.

البروفيسور توم إيزنمان، هو خبير في الشركات الناشئة، وبعد أكثر من عقدين من التحقيق، تلقى مكالمة أيقظته من جديد في البحث عن كيفية فشل الشركات الناشئة. لم يستطع معرفة سبب فشل مؤسستين أنشأهما اثنان من تلاميذه، بحيث كان يثق في أحدهما كثيرا بأنه سيصبح مستثمرا ناجحا في المستقبل. يخلص الكاتب بأنك بحاجة إلى منهجية يمكن الاعتماد عليها لتقييم صحة شركتك الناشئة.

أولاً، الفكرة. يمكننا القول بصفتك المؤسس، ستكون قد ابتكرت حلا فريدا من نوعه يلبي احتياجات العملاء المحددة. ستحل المشكلة الرئيسة التي يواجهها العملاء بكفاءة، وستكون مختلفة عن أي شيء آخر في السوق.

ثانيا، العمليات والتكنولوجيا، وهي طبعاً الآلية التي سوف تحتاجها لإنشاء منتجك وتسليمه للعملاء أو المستهلكين، وإبقائه قيد التشغيل بمجرد شرائه. سيغطي هذا كيفية إدارة المخزون والشحن، بالإضافة إلى كيفية استخدام عملائك لمنصات المبيعات والحجز.

ثالثا، الذي يجب مراعاته هو صيغة الربح الخاصة بك. هذا يتنبأ بحجم الأموال التي ستجنيها من المبيعات، والمبلغ الذي ستتكلفه لكسب هذه الأموال بالإضافة إلى نفقات التشغيل الخاصة بك. يمكنك إدارة التدفق النقدي الخاص بك بشكل موثوق بدعم من صيغة ربح سليمة.

أخيرا، التسويق الذي يتضمن التواصل مع العملاء المحتملين، وإقناعهم بشراء منتجك. ينبغي أن تكون أساليب التسويق الخاصة بك ناجحة للغاية، بحيث يصبح عملاؤك سفراء ملتزمين للعلامة التجارية، مما يتيح لك الاعتماد على المبيعات المتكررة منهم.

يمكننا القول، بأنَّ كل من يساهم في شركتك الناشئة هذه من موظفين وشركائك المؤسسين والمستثمرين، يدعمون كل الاحتمالات الأربعة التي ذكرناها سابقا، وإذا كانت فرصك عبارة عن سباق أحصنة، فستكون هذه المجموعة من الأشخاص هم الفرسان لهذا السباق. يجب أن يكمل كل منهما الآخر، وكذلك الشركة الناشئة ككل للفوز بالسباق. المؤسسون الذين ليسوا على دراية بالصناعة محكوم عليهم بالفشل.

يضرب الكاتب هنا مثالا حيا، لألكسندر نيلسون، وكريستينا والاس وكلاهما خريج جامعة هارفارد من كلية الأعمال، بحيث قاما بتأسيس شركة كونسي أبريل في مارس ٢٠١٢، مختصة في تزويد النساء بملابس عمل مُميزة، كانت المبيعات واعدة في البداية، حيث اشترت ٣٩٪ من النساء اللواتي اشترين أشياء في الربيع المزيدَ في الخريف. ومع ذلك، كانت هناك قضايا تتطور وراء الكواليس. رغم استعانة المؤسسين بالعديد من معلمي الأزياء، إلا أنهما كانا يفتقران إلى الخبرة في هذا المجال. أدى هذا في النهاية إلى زوال الشركة، بعد أقل من عام من إنشائها.

الخلاصة هنا هي أن رواد الأعمال الذين يفتقرون إلى فهم الصناعة يفشلون، ومن ناحية أخرى، لم يكن نيلسون ووالاس

على دراية بالمهام المحددة، التي يتطلبها إنتاج الملابس، مثل إنشاء الأنماط، وصنع العينات، والتصميم الفني. في الواقع، لقد خططا للتعامل مع كل تصاميم الملابس بنفسيهما، مع مدير إنتاج واحد فقط للإشراف على الإنتاج.

أدى هذا النقص في الوعي إلى عدد كبير من المخاوف التشغيلية، بدءا من طلب النسيج الخطأ إلى الفشل في فهم اتفاقيات الحجم. كان معدل إرجاع الملابس في كوينسي أعلى بنسبة ١٥٪ مما توقعه نيلسون، حيث قام ٦٨٪ من المشترين، بإعادة البضائع بسبب ضعف الملاءمة. فشلت كوينسي في الوفاء بوعدها الرئيسي (الملابس الاحترافية الملائمة)، وأكلت كل هذه العوائد في هوامش الربح. كان لدى كوينسي ثلاثة من الأصول الرئيسية للمؤلف: فكرة رائعة، وتسويق فعَّال، وصيغة ربح واقعية. ومع ذلك، وبسبب عدم معرفة مؤسسيها، لم تكن عملياتها سليمة فكان الفشل بسبب هذا الخلل. إذا كانت شركتك الناشئة في مجال ليس لديك فيه الكثير من الخبرة، فضع إستراتيجية لتعويض نقص الفهم لديك، ووظف شريكًا مؤسسا ذا صلة وخبرة عميقة في المجال.

يتحدث الكاتب في هذا السياق عن البعد الكبير، الذي يجب على المؤسس، أو رائد الأعمال في الشركات الناشئة، أن يتحلى به وهو فهم عملائه بطريقة مرنة في الوقت الحالي، والمستقبل، وعدم التوقف عن التطوير في الأمر الذي يحتاجه العملاء في جميع الأحوال. يحدث الفشل عندما لا يتم تحليل النمو المبكر. أسست ليندزي هايد بارو شركة بارو لرعاية الحيوانات الأليفة، في عام ٢٠١٤. وكانت تقع في الطابق السفلي من مبنى سكني في جنوب بوسطن، وقدمت خدمات «عالية اللمسة» مثل العناية بالحيوانات الأليفة، وتمشية الكلاب، وإطعام أصحاب الحيوانات الأليفة. استخدم ٧٠٪ من أصحاب الحيوانات الأليفة في المبنى خدمات بارو على الفور.

تم تسجيل أربعة مبان سكنية أخرى، وهي مبتهجة بإنجازها الأولي، والعمولة البالغة ٦٪ التي يمكن أن تكسبها، سرعان ما نما بارو إلى ٢٥ مبنى في شيكاغو، قامت بارو بافتتاح مكاتب في واشنطن العاصمة، ومنطقة نيويورك الحضرية بعد عام. على الرغم من هذا النمو السريع، لم تكن صحة بارو المالية سيئة فحسب، بل كانت في حالة حرجة بحلول منتصف عام ٢٠١٧، اضطرت هايد لإغلاق العملية في فبراير ٢٠١٨. هل هذا خطأ فادح؟ فشل في تحديد ما إذا كان هؤلاء المستخدمين الأوائل في جنوب بوسطن يمثلون السوق الأكبر. النقطة الأساسية هنا هي أن الفشل في تحليل التقدم المبكر يؤدي إلى الفشل الكلي.

عندما يخطئ المؤسسون في الحكم على النجاح المبكر لشركتهم الناشئة، فإنهم يحصلون على إيجابيات كاذبة، يعتقدون أن عامة الناس سيحتضنون منتجهم أو خدمتهم بنفس الحماس مثل المتبنين الأوائل. في حالة هايد، قدرت أن ما يقرب من ٧٠٪ من أصحاب الحيوانات الأليفة في المباني التي توسعت فيها، سيوظفون خدمات بارو، ومع ذلك، لم يكن هذا هو الحال كما توقعت.

لقد تغاضت هايد عن الظروف التي ساهمت في ظهور الهستيريا الأولى. بالنسبة للمبتدئين، نظراً لأنَّ المبنى في جنوب بوسطن

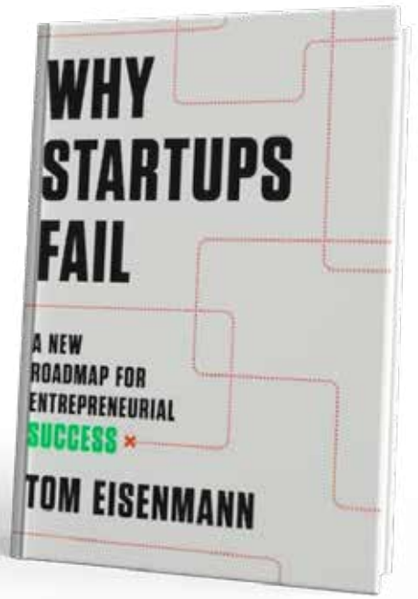

كان جديدا، فإنَّ القليل من السكان لديهم خبرة سابقة مع مقدمي رعاية الحيوانات الأليفة المحليين. كان العديد من المستأجرين ينتمون أيضا إلى فريق أفلام هوليوود الذي انتقل إلى بوسطن من أجل المشروع؛ لقد أحضروا حيواناتهم الأليفة معهم، وكانوا بحاجة إلى المساعدة في العناية بها لأنهم لم يكن لديهم الوقت والمال. هؤلاء العملاء لا يمثلون عامة الناس بأي شكل من الأشكال. قم بتحليل ما إذا كان المتبنون الأوائل يمثلون العملاء العاديين، أو إذا كان نجاحك الفوري يرجع إلى ظروف فريدة، لتجنب إساءة تفسير النجاح المبكر. يمكن أن يكون التوسع في وقت مبكر جدا كارثيا، لذا تأكد من وجود طلب كبير في السوق أولا. بدون الإدارة العليا الصحيحة، تفشل الشركات الناشئة.

ستحتاج إلى وجود فريق الإدارة العليا المناسب، إذا كنت تريد توسيع نطاق شركتك الناشئة. وهذا يعني تعيين متخصصين وليس عموميين، حتى لو كان لديهم الكثير من الخبرة. تذكر أن فرس السباق الخاص بك لن يعبر خط النهاية بدون الفارس الصحيح. إذا كنت لا تستطيع تحمل تكلفة أخصائي كبير في الوقت الحالي، فابحث عن أخصائي متوسط المستوى بدلاً من ذلك. ستكون أقل تكلفة مع توفير الخبرة التي يتطلبها عملك للنجاح. الطموح المفرط عرضة للفشل.

يلعب رواد الأعمال دورا حاسما في المجتمع نظرا لقدرتهم على تحقيق أحلام كبيرة، ومتابعة مبادرات طموحة تؤدي إلى اكتشافات تغير الحياة. كان شاي أغاسي يحلم بفعل ذلك في عام ٢٠٠٧، عندما كان يأمل في جعل السيارات الكهربائية أكثر انتشارا، وتقليل التأثير البيئي للمركبات المنزلية. على الرغم من هذا الهدف النبيل، واستثمار ٩٠٠ مليون دولار، فقد باع ما يقارب ١٥٠٠ سيارة فقط! إذا كان عرضك، مثل اقتراح أغاسي، ينطوي على مخاطر عالية، فهناك خطوات يمكنك القيام بها لتقليل هذا الخطر. للبدء، تذكر أن البشر خائفون من التغيير الجذري، حتى عندما يكون من أجل الصالح العام. اعتدل في ابتكارك حتى لا يضطر العملاء للمغامرة بعيدا عن مناطق الراحة الخاصة بهم لتبنيه.

ثانيا، قم ببناء نماذج أولية غير عاملة، واطلب تعليقات من مجموعات التركيز. سيؤدي ذلك إلى دفع الخطوة التالية من التصميم مع تقييم الاهتمام العام بالمنتج، والذي يمثل دائما مشكلة صعبة عند تقديم شيء جديد تماما إلى السوق.

أخيرا، لا ترتكب خطأ المبالغة في طلب السوق لمجرد إقناع المستثمرين. سينتهي بك الأمر فقط إلى تحديد أهداف مبيعات لن تتمكن من تحقيقها. سيكون من الأسهل توقع المدة التي ستستغرقها لإعادة أي استثمارات، إذا كنت صادقا بشأن مجموعة المستهلكين المحتملة. الرسالة الرئيسة هنا هي أنه يمكن التغلب على الفشل. التعافي هو المرحلة الأولى، التي يمر بها المؤسس بعد الفشل، وفي الوقت نفسه، ستلاحظ أنَّ اتصالاتك الشخصية قد تضررت نتيجة لساعات عملك الطويلة؛ لقد اضطررت إلى إهمال أحبائك. تؤدي بعض الأحيان المشاعر السلبية للفشل، مثل الحزن أو الندم، إلى تفاقم هذا الإحساس بالعزلة. ابحث عن طرق لدعم نفسك خلال هذه الفترة لتجنب الإصابة بالاكتئاب. نفذ عادات أسلوب حياة جيدة، وجرب الاستشارة.

إعادة الدخول هي المرحلة الأخيرة من رحلتك. على الرغم من صعوبات الفشل، يبدأ حوالي نصف رواد الأعمال الفاشلين أعمالا تجارية جديدة. قد تشعر بالقلق من أن فشلك السابق قد يخيف المستثمرين المحتملين، ولكن هناك طريقة لتجنب ذلك، اشرح كيف أثر ما تعلمته في المرحلة الثانية، على خطة عملك الجديدة. بهذه الطريقة، يمكنك أن تُظهر للمستثمرين المعرفة والخبرة.

توم أيزنمان في كتابه أوضح في الثلثين الأول والثاني، القرارات التي تواجهها الشركات الناشئة في مراحلها الأولى، والأنماط الثلاثة التي تؤدي إلى الفشل والأنماط المرتبطة بها، والثلث الأخير يتحدث عن التحديات التي يواجهها مؤسسو الشركات الناشئة. الفشل في بدء التشغيل يحدث غالباً بسبب ستة أنماط مختلفة، الرفقاء السيئون، والبدايات الخاطئة، والوعود الكاذبة، والفخاخ السريعة، وعدم طلب المساعدة، والتحديات المتتالية.

ختاما، يجب أن يقرأ مؤسسو الشركات الناشئة في أي مرحلة من مراحل رحلتهم الريادية كتاب «لماذا تفشل الشركات الناشئة؟» فهو ليس مجرد دليل لمنع الفشل، ولكنه أيضًا خارطة طريق ترسم الوجهة الصحيحة لنجاح الشركة الناشئة.

الكتاب: لماذا تخفق الشركات الناشئة؟ خارطة طريق جديدة لنجاح ريادة الأعمال

المؤلف: توم إيزنمان

سنة النشر: 2021

دار النشر: العملة للنشر والتوزيع

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 368 صفحة

*** كاتب عُماني**

اقتصاد المهمة:
دليل الرحلة إلى القمر لتغيير الرأسمالية
ماريانا مازوكاتو

محمد حركات *

الدكتورة ماريانا مازوكاتو هي اقتصادية إيطالية -أمريكية الجنسية، أستاذة كرسي في اقتصاديات الابتكار والقيمة العامة بجامعة كوليدج لندن (UCL)، حيث تشغل منصب مديرة مؤسسة لمعهد UCL للابتكار والأغراض العامة. وهي تعد من أكبر الباحثين في مجال الابتكار وفي استشراف مستقبل الرأسمالية. ولقد صدر لها العديد من الكتب والمؤلفات العلمية والتقارير الدولية في مجال تخصصها . ومن كتبها المنشورة التي نالت استحسانا كبيرا لدى القراء «حالة ريادة الأعمال: فضح أساطير القطاع العام مقابل القطاع الخاص» (2013) والذي حددت فيه الدور الحاسم الذي ينبغي أن تلعبه الدولة في دفع عجلة النمو، وكتابها «قيمة الأشياء: صنع الاقتصاد العالمي والاستفادة منه» (2018) حيث ترى فيه أنَّه يجب أن يكافأ الخلق والإبداع في استخراج القيمة.

فازت الكاتبة بعدة جوائز تقديرية دولية اعترافا بدورها في تعزيز آفاق الفكر الاقتصادي. وهي أيضًا خبيرة ومستشارة لصانعي السياسات في عدة بلدان في العالم بشأن التنمية المستدامة القائمة على الابتكار مثل الأمانة العامة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ولجنة الأمم المتحدة المُنبثقة عن سياسة التنمية والمفوضية الأوروبية للبحوث والعلوم والابتكار. كما قامت بتأليف تقرير عالي التأثير حول تحويل مهام الاتحاد الأوروبي إلى أداة جديدة حاسمة في الابتكار. وأخيرًا تم تعيينها في عام ٢٠٢١ رئيسة المجلس الجديد لمنظمة الصحة العالمية المعني باقتصاديات الصحة للجميع.

في الواقع كثيرة هي الكتب والطروحات والمقالات التي تناولت أزمة الرأسمالية، لاسيما منذ العقدين الأخيرين مرورا بأزمة ٢٠٠٨ وانتهاء بجائحة كوفيد -١٩ وما نتج عنها من ميلاد سلع وخدمات كونية جديدة: الصحة، والتغذية، والبيئة،والثورة التكنولوجية والحوكمة، مثل كتابات المؤلفين ستير دوفلو وأبهيجيت بانيرجي الحائزين على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠١٩ في كتابهما «علم اقتصاد جيد للأوقات العصيبة»، وكتابات جان تيرول «اقتصاد من أجل الصالح العام ٢٠١٨ أو كتابات توماس بيكيتي «رأسمال القرن الحادي والعشرين» ٢٠١٣ و«الرأسمالية والأيديولوجية»٢٠١٩. غير أن كتاب ماريانا مازوكاتو «اقتصاد المهمة» وإن كان يتقاطع كثيرا مع كافة الكتابات المذكورة وغيرها في عدة جوانب جوهرية وبنيوية غير أنه يختلف منهجيا في فلسفته وأدواته التحليلية في إبراز إخفاقات الرأسمالية وفي تحديد الحلول التدبيرية للخروج من الأزمة من خلال التركيز على دور حوكمة الدولة في مواجهة البيروقراطية. فهي أتت لتنادي إلى التعبئة الشاملة والتحفيز على بلورة أفكار جديدة من الأسفل إلى الأعلى في سبيل إحداث تغيير عميق وبنيوي للرأسمالية ذات وجه إنساني يصون كرامة المواطنين والشعوب . كتبت المؤلفة كتابها «اقتصاد المهمة» في عز جائحة كوفيد-١٩ وما كان لها من تداعيات وآثار غير مسبوقة على مستوى الأفراد والمجتمع والدول والعالم في سباق محموم لتطوير اللقاح والعلاجات الفعالة ومعدات الحماية الشخصية وإجراءات متعددة لضمان هزيمة الوباء وما يتطلبه ذلك من تكيف دائم وصلابة للرفع، هذا التحدي الذي تظل فيه حوكمة الدولة المفتاح الجوهري في ربح الرهان واختبارا حاسما لمدى قدرة الدولة على ضمان الأمن الاجتماعي للمواطنين والمقاولات على السواء؛ حيث التزمت العديد من الحكومات بمبالغ ضخمة في مواجهة تداعيات الوباء المعقدة والمتشابكة.

غير أن إحراز تقدم سريع في حل ما ينبغي حله وخلق رأسمالية بوجه إنساني يعد كما خلص إليه جوزيف ستيغليتس يعتبر أصعب بكثير من إرسال شخص ما إلى سطح القمر.

لذا ترى الكاتبة أن مواجهة هذه التحديات الهائلة والمكلفة تتطلب بناء اقتصاد سياسي جديد يعتمد «التنظيم وتوافر هياكل مرنة وتنمية قدرات وأنواع الشراكات بين القطاعين العام والخاص وبلورة رؤية جديدة لاستكشاف عالم مختلف. إنها رؤية لنوع النمو الذي نريده، بالإضافة إلى الأدوات المقابلة للحصول على ذلك - والتي ستخلق اتجاهًا جديدًا للاقتصاد». لاسيما وأن جائحة كوفيد -١٩ أبرزت بشكل واضح مدى فشل النموذج الليبرالي العالمي (تمركز الثروة في يد أقلية، وتوسيع دائرة الفقر، وانتشار البطالة والهشاشة، والهجرة، والتطرف والشعبوية) . كما اصطدمت الأزمة بضعف الحوكمة الدولية وعدم الاستقرار وهشاشة المنظومة الإنتاجية وبروز معالم النموذج الآسيوي وتنامي أهمية الثورة التكنولوجية والإعلامية الرابعة (وتعاظم الكبار في شخص الكافام) والهيمنة الغربية في تملك اقتصاد المعرفة وما تدره عليها من فوائد وأرباح جمة حتى خلال الجائحة .

فعلى مدى أربعة أقسام، مافتئ الكتاب يبسط فرضيات منهجية،علمية، وأفكارا نقدية ثمينة وخلاصات غاية في الأهمية، من خلال طرح تساؤلات مختلفة كبرى حول مأزق الرأسمالية وخطبها الأيديولوجية والرد عليها، آملا من كل ذلك تغييرها من خلال وضع براديغمات جديدة في الاقتصاد السياسي وتحديد المكانة الطلائعية التي ينبغي أن تلعبها الدولة ضمنه.

والحال تتوخى الكاتبة في هذا الإصدار تبني دعوة صريحة لإعلان الحرب على الرأسمالية من خلال تنصيب نفسها ضمن مرافعة فضلى حول ما سمته باقتصاد المهمة قوامها حشد أفق واسع للتفكير في تغيير الرأسمالية استنادا إلى تجربتها الاستشارية الواسعة والغنية التي أتاحت لها الاحتكاك مع العديد من قادة المؤسسات العامة والوكالات في مجال التنمية والتمويل والطاقة والصحة والأبحاث الدفاعية والفضاء والتكنولوجية في شتى أنحاء العالم، مثل وكالة ناسا في الولايات المتحدة الأمريكية، والمفوضية الأوروبية ووكالة الفضاء الأوروبية والخدمات الرقمية الحكومية . وكان السعي هو تيسير الفهم الأفضل لكيفية إصلاح إخفاقات السوق ومعيقاته والدخول في عالم طموح وأكثر مخاطرة في صنعه وتشكيله والتغلب على التحديات التكنولوجية والاجتماعية الكبرى التي يواجها العالم خاصة بعد جائحة كوفيد -١٩، حيث كان تعطشها كبيرا في طرح براديغمات جديدة كفيلة بتأطير نظري وعملي جديد حول السياسة العامة؛ من شأنه المساعدة على فهم تعقيدات المنظومة اللبرالية في سبيل إعادة هندستها عبر بلورة نظرية اقتصادية تنظيمية وتدبيرية مناسبة في إدارة مخاطر النمو وضمان السلع والخدمات العامة.

الواقع أنَّ أعظم القراءات الموثوقة لهذا الكتاب لاسيما قراءة جوزيف ستيغلتس الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد والذي بدوره يتساءل «ماذا لو تحملت الحكومة أعلى مستوى من التقلبات وأصلحت تنظيمها الداخلي لتتحمل مثل هذه المخاطر بدلاً من أن ينظر لها على أنها بطيئة وغير كفؤة في الوقت الذي يتحمل فيه القطاع الخاص المخاطر؟ كيف يمكن ضمان هذا التحول من إدارة بيروقراطية من أعلى إلى أسفل لتصبح أداة تستند للأهداف لتحفيز الأفكار الجديدة والمبدعة من الأسفل إلى الأعلى في شتى مجالات أنشطتها وتدخلها من كيفية تنفيذ المشتريات وتقديم المنح البحثية وكيفية هيكلة القروض العامة وفهم التكاليف والموازنة في سبيل تحقيق الصالح العام ؟ »

وتمضي الكاتبة متسائلة من يُعيق إذن الرحلة القادمة نحو القمر والمتمثلة في بناء رؤية إستراتيجية في مواجهة الأزمة؟ يا له من تناقض، كما تلاحظ الكاتبة، مع الطريقة التي نسمع بها اليوم عن تكاليف خدماتنا العامة، والآثار المترتبة على العجز الموازنة والديون؛ ولا حديث حول الجرأة والطموح اللازمين في إصلاح الرأسمالية يشبه النهج المتبع في استكشاف الفضاء، عندما تم تكريس طاقة الجميع واهتمامهم لغرض هبوط ناجح على سطح القمر، والاستثمار والابتكار المطلوبين. في سبتمبر ١٩٦٢ في خطاب شهير للرئيس جون كينيدي أعلن فيه أن حكومة الولايات المتحدة ستشرع في «أكثر المغامرات خطورة قام بها الإنسان على الإطلاق»: هبوط رجل على سطح القمر وضمان عودته إلى الأرض بأمان».

وعلى غرار ذلك تتوخى الكاتبة التعبئة الشاملة والمناداة إلى تطبيق نفس المستوى من الجرأة في التصدي لأكبر مشاكل عصرنا مثل التحديات الصحية والبيئية والتعليمية وكذا تجسير الفجوة بين الفرص المتاحة والإنجاز وعدم المساواة في ولوج التكنولوجيا الرقمية. وترى أنَّ معالجة هذه المشاكل «الخبيثة» لا تتطلب ابتكارات تكنولوجية فحسب، بل تتطلب أيضًا ابتكارات اجتماعية وتنظيمية وسياسية من خلال التركيز على النجاعة وجعل القطاعين العام والخاص يتعاونان حقًا في الاستثمار في الحلول، والحصول على رؤية طويلة المدى، وإدارة العملية للتأكد من أنها تتم في المصلحة العامة.

بالفعل كان الهبوط على سطح القمر تمرينًا هائلاً في حل عدة مشكلات كانت مطروحة، مع وجود القطاع العام في مقعد القيادة والعمل بشكل وثيق مع الشركات - الصغيرة والمتوسطة والكبيرة - لقد تطلب الأمر تعاونًا بين الحكومة والعديد من القطاعات المختلفة حينئذ استخدمت الدولة قوتها الشرائية لتطوير العقود والمشتريات وفتح أسواق جديدة مكنت الشركات من النمو والازدهار.

ومن هذا المنطلق بسطت الكاتبة عدة شروط وفرضيات علمية كفيلة بتغيير الرأسمالية تتمثل أولا في بلورة مهمة وهدف عمليين واقعيين استعدادا للرحلة. ثانيا الوعي بمدى هول أزمة الرأسمالية وعدم قدرتها على الإجابة على مجموعة من الأسئلة العالقة مثل الأزمة البيئية وديناميات عدم المساواة بسبب وصول نسبة الأرباح إلى مستويات قياسية على حساب تدني الأجور. ثالثا توجه القطاع المالي إلى حد كبير إلى التمويل والتأمين والعقارات بدلاً من الاستخدامات الإنتاجية؛ الشيء الذي أدى إلى بناء اقتصاديات تضخم فقاعات المضاربة، لإثراء الأغنياء . رابعا تركيز الأعمال على العوائد الفصلية حيث ينمو التمويل بشكل عام بوتيرة أسرع من الاقتصاد وتصبح الأنشطة المالية و الخدمات المصاحبة لها تهيمن على الأعمال والتوجه نحو استخدام حصة أكبر من أرباح الشركات لتعزيز المكاسب قصيرة الأجل في أسعار الأسهم بدلاً من توفير استثمار طويل الأجل في مجالات مثل المعدات الرأسمالية الجديدة والبحث والتطوير وتنمية المهارات وتدريب العمال بصرف أجور ظلت تعاني من التآكل والانخفاض. رابعا تلاعب الحكومات وعدم قدرتها على حل ومعالجة المشاكل المطروحة بشكل استباقي؛

حيث لا ينبغي أن يختزل دورها ببساطة في الإصلاح، ولكن تحقيق أهداف جريئة من خلال تجاوز النظرية الاقتصادية السائدة التي لا تنظر إلى الجهات الفاعلة العامة كمبدعة وصانعة للتغيير، كما أنها لا تنظر إلى الأسواق على أنها تخدم غرضًا يجب تشكيله، بل تفترض الأيديولوجية الحالية أن الرأسمالية تعمل من خلال «آلية السوق وسعي الأفراد الحثيث إلى تحقيق مصلح ذاتية منفعية. وهكذا عندما تفشل الأسواق التي تنشأ من هذه القرارات الفردية في تحقيق نتائج «فعالة»، يجب على الحكومة التدخل -إما لتصحيح العوامل الخارجية الإيجابية (البحث والتطوير) أو العوامل الخارجية السلبية (مثل التلوث). غير أن الكاتبة تحاجج بأن الأسواق ليست نتيجة لصنع القرار الفردي ولكن لنوعية حوكمة كل فاعل في خلق القيمة - بما في ذلك الحكومة نفسها. وبهذا المعنى، فإن الأسواق «المدمجة» في إطار قواعد ومعايير وعقود تكون قادرة على التأثير على السلوك التنظيمي والتفاعلات و الهندسة المؤسسية. وبالتالي لا يمكن للحكومة أن تقتصر على إصلاح الأسواق بشكل تفاعلي، ولكن يجب أن تشارك في تشكيل الأسواق بشكل صريح لتحقيق النتائج التي يحتاجها المجتمع.

والحال فإن الكتاب يعتبر أن النظرية السيئة تؤدي إلى الممارسة السيئة والمتمثلة في خمسة أساطير: اختزال خلق القيمة وتحمل المخاطر في الشركات واعتبار أن الحكومات لا تعمل إلا على تسهيل المهام والتخلص من المخاطر ؛ الغرض من الحكومة هو إصلاح إخفاقات السوق؛ واشتغال الحكومة بمنطق الأعمال التجارية على اعتبار أن الاستعانة بمصادر خارجية توفر أموال دافعي الضرائب وتقلل من المخاطر؛ يجب ألا تختار الحكومات الفائزين. وتمثل هذه الأسطورة في فكرة مفادها أن الحكومة لا ينبغي أن توجه الاقتصاد بل تكتفي بتسهيله فقط. وغالبًا ما يتم التعبير عن هذا على النحو التالي: يجب على الحكومات الالتزام بالأساسيات وليس «اختيار الفائزين».

وتؤكد الكاتبة أن «اختيار الفائزين» ينبغي أن يتم ضمن إستراتيجية متكاملة وشاملة تستهدف تحفيز و تطوير الأنشطة الاقتصادية عن طريق اختيار ودعم التقنيات والأعمال والقطاعات التي تعتقد أنها مهمة وناجحة . يمكن أن يكون هناك العديد من الأسباب لاتخاذ خيار معين، بما في ذلك توخي الريادة التكنولوجية، ونشر المعرفة، وخلق فرص الشغل، وزيادة الإنتاجية والدخول، وتعزيز التنمية المحلية والدفاع، فضلا عن تبني سياسة صناعية ضمن - استراتيجية شاملة لتشجيع تنمية ونمو الاقتصاد كله أو جزء منه . وغالبًا ما يتم التركيز على التصنيع - وهو في حد ذاته يمكن اعتباره اختيارًا للفائزين بشكل كبير. في الواقع، عندما تحاول الحكومة تحفيز تقنية أو قطاع على التطور، فإنها بالمعنى الواسع تختار الفائزين. وتخلص المؤلفة إلى أن المشكلة الحقيقية هي عندما يختار الخاسر الحكومة متسائلة : ماذا يلزم لإنجاز هذه الطموحات الجريئة ضمن هذه المهمة؟

لذا تقترح أنه ينبغي أخذ دروس من تجربة أبولو في رحلة القمر كدليل للتغيير من خلال توفر قيادة إستراتيجية ذات رؤية وهدف؛ ودعم الابتكار المبني على المخاطرة والتجربة؛ والتغيير التنظيمي الداخلي الذي ينبني على المرونة؛ والإيمان بالتداعيات الايجابية للصدفة والتعاون؛ ووجود ميزانية تعتمد نجاعة الأداء، وأخيرا شراكة فعالة بين الأعمال والدولة ذات هدف مشترك.

ختاما، ينبغي للتصدي للتحديات الكبرى رسم أهداف عليا تتجلى في بلورة سياسات واقعية ترتكز على : تحقيق أهداف التنمية المستدامة والتحول الأخضر، والتنفيذ الجيد للمهمة، وإشراك المواطنين في المهمة، ووضع خطة خضراء جديدة؛ فمهمة الابتكار من أجل تأمين الصحة وتضييق الفجوة الرقمية. أما المهمة المستقبلة المركزية فهي تكمن في ضرورة إعادة تصور اقتصاد جيد للأزمنة الصعبة ينبغي أن يحكم مستقبلنا من خلال بناء نظرية وممارسات جيدة عبر احترام سبعة مبادئ في تجديد الاقتصاد السياسي تتجلى في القيمة التي ينبغي خلقها بشكل جماعي ؛ وفي الأسواق التي ينبغي تشكيلها وليس الاكتفاء بإصلاح تثبيتها؛ وتنمية قدرات ذاتية داخل المنظمات تتميز بالدينامية والإبداع؛ وتوفر إدارة مالية تعتمد النتائج والنجاعة؛ وتوزيع ينبني على تقاسم المخاطر والمكافآت؛ ووضع وتطوير شراكة حقيقية بالأهداف تساعد على بناء أنظمة بيئية أكثر تكافلية تعود بالنفع على الجميع.

الكتاب: اقتصاد المهمة: دليل الرحلة إلى القمر لتغيير الرأسمالية

إعداد: ماريانا مازوكاتو

الناشر: بنجوان راندوم هاوس المملكة المتحدة

سنة النشر: 2021

عد د الصفحات :227 صفحة

اللغة : الإنجليزية

* أكاديمي مغربي

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

العيش تحت التهديد: المهاجرون غير الشرعيين والدولة

المؤلف: ستيفان كورا **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار سوي. فرنسا. **عدد الصفحات: 368**

لا تُمارَس سياسة مراقبة الهجرة على الحدود فحسب، بل تواصل العمل على الأراضي الوطنية من خلال فصل أولئك الذين يستفيدون من إقامة قانونية عن أولئك الذين لا يستفيدون منها. إنها ترسم حدودًا داخلية غير مرئية وعنيدة عندما يطارد شبح الحدود الحياة اليومية للأشخاص الذين يتعرضون كل يوم لخطر الطرد. بصفته عالمًا إثنوغرافيًا، يحاول ستيفان لو كورا فهم العواقب الحميمة لهذه الحكومة التي تمارس التهديد. بعد دراسة استقصائية استمرت عدة سنوات مع حوالي أربعين مهاجراً غير شرعي، قام المؤلف بإضفاء الطابع الإنساني على تجربتهم ؛ إنه يؤرخ لحياة شكّلها الخوف من الاعتقال أو الوشاية. إذا كان التهديد بالنسبة لمن يمارسه مظهرا من مظاهر قدرته على الأذى دون تنفيذ فوري، فإنه بالنسبة لمن يتعرض له، مصدر إضطراب نفسي دائم تحت التهديد بالخطر. يدفع هذا التهديد، إلى الشعور بالهوس، وإلى تفضيل الوحدة والشعور بانعدام الثقة ؛ إنه يحول البيئة القريبة إلى عالم من الاشارات من الرعب المحتمل: نبرة الصوت، ولون الزي الرسمي، وسلوك الشريك في الغرفة، كل شيء يمكن أن يكون دليلاً على ضرورة الاحتياط والتوجس من الاعتقال أو الطرد.

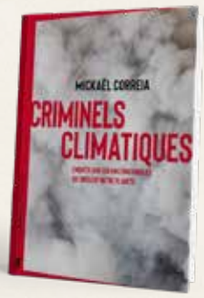

مجرمو المناخ

المؤلف: ميكاييل كوريا **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا **عدد الصفحات: 188**

مائة شركة مسؤولة عن 70% من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري العالمية.إن أكبر ثلاث شركات متعددة الجنسيات تنفث أكبر قدر من ثاني أكسيد الكربون في العالم. لكنها في نظر العامة، فهي تقوم بأدوار بطولية في إنتاج النفط والغاز والفحم وجني الأرباح والعملات. لو كانت هذه الكيانات الصناعية دولة، فستكون ثالث أكثر دولة إنتاجا للانبعاثات، بعد الصين والولايات المتحدة. يكشف هذا التحقيق غير المسبوق كيف تستعمل هذه الشركات الصناعية العملاقة ترسانة كاملة من الاستراتيجيات الهائلة لإدامة إدماننا على الكربون. من خلال الاستمرار في استخراج الموارد بأي ثمن من أحشاء الأرض، فإنها عن قصد تؤجج النيران التي ستحرق كوكبنا وبالتالي فهي تعمل على تخريب المناخ والحياة . يكشف المؤلف دوائر القوة في قلب هذه الرأسمالية الأحفورية والطريقة التي تتطور بها هذه الشركات في ظل قنبلة حقيقية تغير المناخ، وتعرض البشرية جمعاء للخطر.

قياس العنصرية، والتغلب على التمييز

المؤلف: توماس بيكتي **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار سوي. فرنسا **عدد الصفحات: 72**

لتقديم هذا الكتاب الجديد والهام لن نجد أفضل ما قاله توماس بيكيتي في مقدمته:دعونا نقول ذلك على الفور: لم يخترع أي بلد نظامًا مثاليًا لمكافحة العنصرية والتمييز.و يتمثل التحدي في تخيل نموذج جديد، عابر للحدود وعالمي، يضع سياسة مناهضة التمييز في إطار أكثر عمومية لسياسة اجتماعية واقتصادية ذات هدف عالمي قائم على المساواة، والذي يفترض حقيقة العنصرية والتمييز - لنوفر لأنفسنا وسائل لقياسها وتصحيحها، دون إلغاء للهويات، والتي تكون دائمًا جماعية ومتعددة. ولكن يجب علينا أيضًا وقبل كل شيء دعم السياسات الاجتماعية الشاملة التي بدونها ستبقى المسيرة نحو المساواة مجرد أحلام طوباوية. صدر هذا الكتاب في أوانه، خصوصا مع تنامي العنصرية والتمييز حتى في الدول المتقدمة والتي تدعي فرادتها الديموقراطية.

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

نزعتا فيتجنسشتاين الريبية والطبيعية مقالات في فلسفته المتأخرة

المؤلف: ماري ماجين **سنة النشر: 2021**
دار النشر: أنتيم برس

ثمة فيلسوفان في القرن العشرين ملأ الدنيا وشغلا الناس ووقفا خلف ترسيخ تقليدين فلسفيين عريقين. التقليد القاري والتقليد الأنجلوسكسوني . هما الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر والفيلسوف النمساوي لودفيج فيتجنشتاين؛ إذ لا يكاد يمر شهر من الشهور دون أن يصدر كتاب عنهما أو كتابان. ومن غريب الصدف أنهما يشتركان في تمييز الباحثين في مسارهما الفلسفي، على تباينه، بين طورين: طور أول وطور ثان؛ ومن هنا الحديث عن هايدجر الأول وهايدجر الثاني، كما الحديث عن فيتجنشتاين الأول وفيتجنشتاين الثاني. ومدار هذا الكتاب على ثانيهما، وهو يضاف إلى مئات، بله آلاف الكتب التي كتبت عنه. وتقف مؤلفة هذا الكتاب على دواعي منعطف الفيلسوف النمساوي من مساره الأول إلى مساره الثاني؛ وبالخصوص على منزعين من منازع فلسفته: منزعه الطبيعي حيث يستعمل في تفلسفه نزعة طبيعية بيّنة. إذ في كل قضية قضية ينطلق من الطبيعة سواء بمعناها العام أو بمعنى الطبيعة البشرية لكي يستلهم منها طريقته في التفلسف، وهو يطبق منزعه الطبيعي هذا أول ما يطبقه في تحليله للمفاهيم التي يقف عندها؛ شأن اليقين والاعتقاد وغيرها. ومنزعه الريبي؛ إذ يرتاب في أمر العالم الخارجي، وفي الأذهان، وفي المعرفة، وفي الاعتقاد، وفي المعنى، وفي اتباع القاعدة، وفي الأحوال النفسية، وفي وعي النفس بذاتها.

فرانسز باور كاب.. الكتابات الأساسية لفيلسوفة نسائية من فلاسفة القرن التاسع عشر

تحت إشراف **دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد**
أليسون ستون **سنة النشر: 2022**

على الرغم من أن الفلسفة فكر نقدي، فإنها لم تستطع أبدا أن تتخلص طوال تاريخها من نزعتها الذكورية المهيمنة. والأمر في العالم الإسلامي أفدح؛ إذ لا نكاد نعثر في كتب طبقات الحكماء والفلاسفة ولو على اسم فيلسوفة عربية واحدة. وهذا الكتاب محاولة إنصاف لفيلسوفة لطالما تجوهلت في تاريخ الفلسفة. يتعلق الأمر بفيلسوفة إنجليزية عاشت في القرن التاسع عشر على العهد الفكتوري تدعى فرانسز باور كاب (1-9041822). وكانت مفكرة أخلاقية ونسوية وممهدة لنظرية رفاهية الحيوان وناقدة للداروينية والإلحادية. وفي هذا الكتاب تم تجميع أهم بحوثها منذ عام 1855 حيث نشرت بحثا عن تعالق الأخلاق والدين إلى بحثها في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر وبداية السبعينات حول واجبات الإنسان اتجاه الحيوان، فإلى ما بعد السبيعينات ومراجعاتها لنظريتها الخلقية بالتركيز على دور الانفعالات الخلقي؛ لا سيما منها التعاطف؛ ثم إلى الثمانينات حيث قاومت هي النزعات الدنيوية واللا أدرية والإلحادية، محتجة على ما ذهبت إليه بأن من شأن الدين أن ما كان مفيدا للحياة الأخلاقية وحسب، وإنما هو نافع أيضا لحياة تكون ذات مغزى ولثقافة تكون ذات معنى.

أن تفعل ما تريده حقا.. مدخل إلى فلسفة مينجزي

المؤلف: فرانكلين بيركينس – دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد – سنة النشر: 2021

بات الخروج من انغلاقية الفلسفة الغربية إلى انفتاحية فلسفات العالم علامة فارقة في زماننا هذا. والكتاب الذي بين أيدينا محاولة لتعزيز هذا الاتجاه ألفه باحث غربي عن فيلسوف شرقي. يتعلق الأمر بالفيلسوف الكونفشيوسي الصيني القديم مينجزي. ويعرض المؤلف في هذا الكتاب فلسفة هذا الحكيم عرضا متسقا ومنسقا وسهل المأخذ، كما ييسرها غاية التيسير؛ وذلك من منزلة الكائنات البشرية في الطبيعة إلى نفسية الإنسان وفلسفة العواطف؛ فإلى سبل تغيير الإنسان لنفسه وتشذيبها وتهذيبها. هذا ويضمِّن المؤلف كتابه هذا طائفة من النصائح التطبيقية المستمدة من حكمة هذا الفيلسوف العملية والذي مدارها على سبل تغيير البشر للعالم الذي يحيون فيه، وذلك بحسبان الفلسفة هي، قبل كل شيء، طريقة للعيش وفن كيف نحيا.